

الوحدة التعليمية السابعة

أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس السابع
من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدراسي، آملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نُهايت الوحدة التعليمية

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

٧. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٨. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٩. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
١٠. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
١١. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
١٢. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في هذا الدرس.
١٣. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

الغناصير

١. آخطاء الحوار: تمهيد.
٢. خطأ: انفراد طرف بوضع محاور الحوار.
٣. خطأ: استدعاء من لا يمثل الآخر حقيقة ليتحاور باسمه.
٤. خطأ: هيبة الحوار.
٥. خطأ: الخجل.
٦. خطأ: المكابرة.

العنصر الأول: أخطاء الحوار: نهج

عزيزي الدارس، إذا أخذ طرف بأصل من أصول الحوار أو أدب من أدابه جنح الحوار للعديد من الأخطاء والتي تعز عن الحصر؛ وفي المقابل نجد أن بعضاً من أخطاء الحوار كهيبة الحوار والمكابرة والخجل تساهم في غياب بعض أصوله وأدابه.

وأخطاء الحوار كثيراً ما يمكن إدراج بعضها تحت بعض فخطأ مثل "الاستدلال بالإحصائيات غير العلمية"، وكذا كل أخطاء الحوار التي صدرناها بكلمة "الخط" يمكن إدراجها ضمن خطأ "عدم التثبت" ويمكن فصلها؛ وكذا خطأ مثل "استخدام التكافؤ المتوهم بين كلمتين أو عبارتين" يمكن إدراجه ضمن خطأ "إصدار الأحكام الجذافية أو الافتراضات المسبقة" ويمكن فصله؛ ولكننا أثرنا الفصل لمزيد من الاهتمام بتفاصيل الأخطاء والتحذير منها.

وأخطاء الحوار شديدة العدوى؛ فعلى الطرف الآخر الحذر من عدواها؛ يقول الكتاب المقدس محذراً من هذه العدوى: "لا تَسْتَصْحِبْ غَضُوبًا، وَمَعَ رَجُلٍ سَاخِطٍ لَا تَجِءْ، لِئَلَّا تَأْلَفَ طَرَفُهُ".

وينهى النبي ﷺ عن التجاوب مع الأخلاق الذميمة والتأثر بأصحابها فيقول: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا".

وعلى المحاور أن ينبه محاوره إلى أخطائه في الحوار ويناقشه في خطورة استخدامها فإن أبي: وكان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام الكلي بأصل من أصول الحوار أو كان مساهماً في غياب أصل من أصوله

توقف عن الحوار. . وإن كان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام الجزئي بأصل من الأصول كان على المحاور تقييم مدى تأثير الخطأ على صحة الحوار، وعليه يتم اتخاذ قرار الاستمرار أو التوقف عن الحوار. . وإن كان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام بأدب أو أكثر من آداب الحوار كان له الخيار إما تحمله وإكمال المحاورة، وإما التوقف عن استكمال المحاورة، بحسب المصالح والمفاسد والآمال المترتبة على نجاح المحاورة.

العنصر الثاني: خطأ: أنفراد طرف بوضع محاور الحوار

عزيزي الدارس، إذا كان الحوار بين مختلفين، فلا بد وأن تشترك جميع أطرافه في وضع محاوره ولا تستأثر طائفة بذلك تحت أي من المزايم. وكثيراً ما يؤدي هذا الاستئثار إلى:

- وضع محاور لا تؤدي للنتائج التي يريها طرف من أطراف الحوار، لصالح نتائج أخرى يريها طرف آخر؛ وكثيراً ما يكون ذلك على حساب الحقيقة.

- وضع محاور تضع أحد طرفي الحوار في صورة المدافع دائماً أو بمعنى آخر في صورة المتهم، ولا تسمح له بإبداء رأيه كاملاً في موضوع الحوار.

العنصر الثالث: خطأ: الاستدعاء من لا يمثل الآخر حقيقة لبنكأور بأسمه

عزيري الدارس، يقول إنجمار كارلسون: لقد غدا مقبولا في الغرب الادعاء بأنه ينبغي ألا يُمكن العرب من التعبير عن ذواتهم ولقد تقبل كثيرون هذا الادعاء الغريب بمن فيهم شخص من طراز كارل ماركس حين قال عن العرب: إنهم لا يستطيعون أن يمثلوا أنفسهم... ويجب تمثيلهم.

ويبين الغزالي خطأ أصحاب هذا المنهج فيقول في شروط المناظرة: "أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشغول بالعلم، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم، فيرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويح الباطل عليهم".

العنصر الرابع: خطأ: هيبة الحوار

عزيزي الدارس، لابد من التفرقة هنا بين هيبة الشخص وهيبة الحوار، فكم من مهاب لا نهاب الحوار معه.

فهيبة الحوار مع الآخر مانعة من العدل في عرض وجهة النظر المخالفة للمهابة.

ومن هنا كان قول "سقراط": "أبرز صور التفوق الإنساني هي مساءلة الذات ومساءلة الآخرين".

وكان قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر". وفي رواية: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر". وقوله: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله".

وتجنبنا لهذا الخطأ كان الجدل الفقهي الذي أثير حول حق الزوج المسلم في مناقشة زوجته غير المسلمة في مسألة إسلامها. فقد رأى مالك والشافعي ألا يفتح الرجل المسلم زوجته الكتابية في هذا الأمر، ولا يعرض عليها الإسلام لاحتمال وجود نوع من الإكراه الخفي، لقوامة الرجل على المرأة والتي قد تستدعي عدم إعطائها الفرصة في إبداء رأيها. بينما رأى الأحناف أن يعرض عليها الإسلام من غير إكراه.

ومن بواعث هيبة الحوار "المكان": إذا تمت المحاورة على أرض الخصم، وتحقيقاً للعدل في عرض وجهات النظر المختلفة يجب أن تكون المحاورة في مكان محايد لا يكون لطرف فيه سطوة على الآخر؛ وهو ما عبر عنه فرعون بقوله لموسى عليه السلام والذي يحكيه المولى عز وجل بقوله: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا

سُوًى﴾. "قال مجاهد وقتادة: مكانا سوى منصفاً. وقال السدي: عدلاً".

العنصر الخامس: خطأ الخجل

عزيزي الدارس، الخجل: هو "اضطراب مصحوب بالخوف والدهش والتحير، وهو يحصل للمرء عند شعوره بالعجز عن ملاءمة الواقع: قبيحا كان أو جميلا". ومن ثمة فهو يعوق التصريح عن الرأي وعما يعتل في النفس. أما الحياء : فـ "هو الشعور بالشيء القبيح والإشفاق من مواقفه، والنفور عنه". وبعبارة أخرى هو عاطفة ترتفع بها النفس عن الدنيا. ومن ثمة فالحياء لا يمنع حوارا جادا.

ومن هنا كان قوله صلى الله عليه وسلم: "الحياء خير كله"؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتي إلا بخير"؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

وللأسف وقع خلط كبير بين الخجل والحياء في كثير من الأحيان سواء في المجتمعات الشرقية بإدراج الخجل تحت الحياء وبالتالي التربية عليه؛ أو في المجتمعات الغربية بإدراج الحياء تحت الخجل وبالتالي النهي عنه.

وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة قدوة في التفريق بين

الحياء والخجل:

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "نعم النساء نساء الأنصار؛ لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر على رجل من الأنصار وهو يعظ

أخاه في الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعه، فإن الحياء من الإيمان".

وعن أبي أمامة قال: "إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه [يريدونه أن يسكت في اعتقادهم أن هذا الكلام لا يليق في وجود النبي ﷺ وعلى سائله أن يستحي من سؤاله]، فقال: أدنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأملك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك؛ قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم؟ قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداك؛ قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم؟ قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك؛ قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم؟ قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك؛ قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم؟ قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك؛ قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم؟ قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء".

فنجده ﷺ هنا لم ينهر السائل لا بفعل ولا بقول ولا بإشارة، ولم يسمح لأحد من أصحابه أن يفعل ذلك به نيابة عنه ﷺ، بل قرب به إليه في المجلس، وحاوره حواراً ملتزماً بالأصول متحلياً بالآداب، فكانت النتيجة التي ذكرها الراوي؛ وهي ثمرة للتخلي عن الخجل في سؤال على درجة من الأهمية العقدية.

وقد كان النبي ﷺ وهو قدوتنا في هذا الخلق "أشد حياء من العذراء في خدرها" وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة حيائه "تستحي منه الملائكة"؛ ومع ذلك لم يكن الحياء مانعاً له ﷺ ولا لعثمان رضي الله عنه من المحاورة والمطالبة بحقوق الله، وحقوق عبده؛ فالحق لا يُستحي منه؛ يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

العنصر السادس: خطأ المكابرة

عزيزي الدارس، إن المقصود بالمكابرة في الحوار الترفع عن بدئه أو استكمالته مع الآخر استعلاء عليه؛ حيث يصير كثيرون على إضفاء هالة من القداسة على طوائف من البشر كالحكام، والعلماء، والمعلمون، والقضاة، والآباء، والشيوخ.... الخ. تحول دون محاورتهم مع من هو دونهم وخاصة عند مخالفتهم في آرائهم.

وهو نهج لا يحقق لصاحبه غلبة حقيقية ولا يثمر له إلا ضعة وهوانا في عيني الآخر.

يقول الحكيم الصيني القديم لاوتسو: "إذا انحنيت تغلب، وما هو بالقول الفارغ، إذا عملت به أمنت حتى النهاية".

وكثيراً ما يضيف أصحاب هذا النهج الفاسد على هذه الفعلة النكراء مسحة الدين، والدين من فعلتهم براء.

فالإسلام كمثال لا يعرف لمخلوق مكانة تحول دون التعبير عن مخالفته في رأيه بل ومجادلته فيه ممن هو دونه في المقام.

والنصوص الإسلامية الصحيحة الصريحة ترسم لنا صوراً مثلى عديدة نجد فيها المولى عز وجل وهو الخالق الأعظم يسمح للمخلوقين بالحوار معه بحرية إلى أبعد مدى، ومن هذه الصور ما يلي:

الصورة الأولى: يرسمها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ

فُتْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا

أَعُوذُ بِكَ لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝.. فنجد المولى عز وجل وهو

الخالق العليم: يسمح لمخلوق عاص متكبر مصر على المعصية! - وهو

إبليس- بالحوار معه؛ حول معصية استحق عليها ۝اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ ۝. وهي معصية رفضه السجود لآدم عليه السلام. بل نجده تعالى

هو الذي يبتدر إبليس بالمحاوره! بل ويتلطف معه فيسأله عن المانع من السجود؛ ليعطيه بذلك فرصة للتذرع بمانع إن كان لديه مانع؛ ولا يبتدره بالحكم عليه أو حتى بالاتهام له بمجرد معصيته! بل يسمح له بالاعتراض على الأمر والمحاورة بالباطل: ولا يفنيه، ولا يصعقه، ولا يصيبه بأذى- وهو عليه قادر، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات- بل ويسمح له بالتبجح في الإعلان عن التوعد بإضلال آدم وذريته؛ وأخيرا يستجيب له طلبه في الإمهال إلى يوم الدين.

الصورة الثانية: يرسمها قوله تعالى: ۝يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ

نَفْسِهَا ۝. . فحتى في يوم القضاء لم يحرم الخالق عز وجل أحدا من

المخلوقين من حق الحرية في التعبير بأجلى صورة: وهي المجادلة وكلمة "تجادل" على وزن "تفاعل" وهي صيغة "ترد في العربية كثيرا لإفادة تكرر وقوع ما اشتقت منه، وتجيء لإفادة قوة صدور الفعل من الفاعل". كما سبق بيانه في المبحث الأول من هذه الدراسة.

الصورة الثالثة: يرسمها قوله تعالى: ۝وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى

وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ

فنجده تعالى يتحاور حتى مع العصاة وفي يوم القضاء مجيبا لهم عن تساؤلاتهم.

الصورة الرابعة: يرسمها قوله صلى الله عليه وسلم: "ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار".. فنجده تعالى يفسح المجال لأن يجادله المؤمن لا عن نفسه فقط ولكن عن غيره كذلك حتى وإن كان ممن أدخل النار. إن إعطاء المولى عز وجل عبيده هذه الحقوق وهو الذي لا تخفى عليه خافية، يعني إعطاءهم أقصى درجات الحرية في التعبير.

فكيف ينكر العبيد هذا الحق بعضهم على بعض!

أليس بقياس الأولى أن يعطي العبدُ العبدَ هذا الحق! وهو القياس الذي يدعو إليه الكتاب المقدس على لسان أيوب عليه السلام حين يقول مستكرا فعل من لا يلتزم بهذا القياس: "الإنسانُ أبرُّ من الله؟ أم الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟!". ويدعو له نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله: "تخلقوا بأخلاق الله". ويحض عليه المولى عز وجل بقوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾.

ملخص الوحدة الثامنة

عزيزي الدارس، إذا أخل طرف بأصل من أصول الحوار أو أدب من آدابه جنح الحوار للعديد من الأخطاء والتي تعز عن الحصر؛ وفي المقابل نجد أن بعضاً من أخطاء الحوار كهيبة الحوار والمكابرة والخجل تساهم في غياب بعض أصوله وآدابه.

وأخطاء الحوار كثيراً ما يمكن إدراج بعضها تحت بعض، ولكننا آثرنا الفصل في أغلب الأحوال لمزيد من الاهتمام بتفاصيل الأخطاء والتحذير منها.

وأخطاء الحوار شديدة العدوى؛ فعلى الطرف الآخر الحذر من عدواها. وعلى المحاور أن ينبه محاوره إلى أخطائه في الحوار ويناقشه في خطورة استخدامها؛ فإن أبا: وكان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام الكلي بأصل من أصول الحوار أو كان مساهماً في غياب أصل من أصوله توقف عن الحوار. . وإن كان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام الجزئي بأصل من الأصول كان على المحاور تقييم مدى تأثير الخطأ على صحة الحوار، وعليه يتم اتخاذ قرار الاستمرار أو التوقف عن الحوار. . وإن كان الخطأ ناشئاً عن عدم الالتزام بأدب أو أكثر من آداب الحوار كان له الخيار إما تحمله وإكمال المحاور، وإما التوقف عن استكمال المحاور، بحسب المصالح والمفاسد والآمال المترتبة على نجاح المحاور.

عزيزي الدارس، إذا كان الحوار بين مختلفين، فلا بد وأن تشترك جميع أطرافه الحقيقية في وضع محاوره ولا تستأثر طائفة بذلك تحت أي من المزايم.

عزيزي الدارس، إن هيبة الحوار مع الآخر مانعة من العدل في عرض وجهة النظر المخالفة للمهاب. وهنا لابد من التفرقة بين هيبة الشخص وهيبة الحوار، فكم من مهاب لا نهاب الحوار معه.

عزيزي الدارس، لقد وقع خلط كبير بين الخجل والحياء سواء في المجتمعات الشرقية بإدراج الخجل تحت الحياء وبالتالي التربية عليه؛ أو في المجتمعات الغربية بإدراج الحياء تحت الخجل وبالتالي النهي عنه.

عزيزي الدارس، يصير كثيرون على إضفاء هالة من القداسة على طوائف من البشر كالحكام، والعلماء، والمعلمون، والقضاة، والآباء، والشيوخ.... الخ. تحول دون محاورتهم مع من هو دونهم وخاصة عند مخالفتهم في آرائهم. وهو نهج لا يحقق لصاحبه غلبة حقيقية ولا يثمر له إلا ضعة وهوانا في عيني الآخر. وكثيراً ما يضيف أصحاب هذا النهج الفاسد على هذه الفعلة النكراء مسحة الدين، والدين من فعلتهم براء.

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

الكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة السابعة، فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة الثامنة، الذي ينعقد بإذن الله، حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية الثامنة

أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس السابع
من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدراسي، آملي أن تجدَ فيها كلَّ المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نهارات الوحدة الثامنة

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاحُ لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: النظر إلى صاحب الرأي قبل النظر إلى الرأي.
٢. خطأ: عدم التثبت.

عزيزي الدارس، إن ناشد الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد غيره؛ كائنا من كان ذلك الغير: كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، ديناً أو كافراً، عظيماً أو حقيراً؛ فمعينه ليس خصماً له: فلا يذمه، ولا يلومه؛ بل هو مشكور: يكرمه، ولا يبخسه حقه؛ يقول تعالى: "ولا تبخسوا الناس أشياءهم".

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها".

ومن مقتضيات ذلك الرجوع إلى الحق متى تبين:

وقد بينا من قبل أن من معاني مادة حور: الرجوع؛ وربطنا بين هذا المعنى اللغوي وهذا المبدأ الحوارى مبدأ الرجوع إلى الحق متى تبين.

وعن هذا المبدأ - مبدأ الرجوع للحق متى تبين - يقول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في كتابه بشأن القضاء: "ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل".

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

ويقول: "إِنِّي وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا".

ويمتدح القرآن الكريم التواقين للحق الذين لا يكتفون برفض الباطل من الآراء وإنما يتخيرون من الحق أحسنه بغض النظر عن قائله فيصفهم بأنهم أهل هداية من الله وأصحاب عقول رشيدة؛ يقول تعالى في ذلك:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ

أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

والحكمة لم يختص الله بها الكبار دون الصغار؛ "فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني؛ فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله

ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري. أو لم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس، أذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم".

والحكمة لم يختص الله بها الرجال دون النساء؛ فعندما حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مهوور النساء في خطبة له من فوق منبر رسول الله ﷺ اعترضته امرأة فقالت: "يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمئة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ إحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ الآية؟ قال: فقال: اللهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر! ثم رجع فركب المنبر فقال: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا

النساء في صداقهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل".

والحكمة لم يختص الله بها المؤمنين دون غيرهم؛ يقول ابن تيمية: "لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني – فضلا عن الرافضي- قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق".

وفي ذلك يقول معاذ بن جبل: "أَحَدُكُمْ زَيْعَةُ الشَّيْطَانِ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ؛ وَقَدْ يَقُولُ الْمَنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ". ويقول زياد بن أبيه: "أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا".

فلا مانع أن نأخذ الحكمة من كل من كان، حتى وإن كان الشيطان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟) ... قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله. قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود). فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ (إنه سيعود). فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني، فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟). قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله؛ قال: (أما إنه كذبك وسيعود).

فرصدته الثالثة: فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختتم الآية، فإنك لن

يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟). قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله؛ قال: (ما هي؟). قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وقال لي: لن يزال

عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟). قال: لا. قال: (ذاك شيطان)".

والحكمة لم يختص بها الإنسان دون الحيوان؛ فقد تعلم قابيل من غراب كيف يوارى سوءة أخيه، يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾. وعلم سليمان عليه

السلام من الهدهد ما لم يحط بعلمه؛ يقول تعالى عن هدهد سليمان: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾.

والحكمة لم يختص الله بها أصحاب الهالات دون غيرهم: فحين يتفوق إنسان ما في مجال ما تتكون لديه هالة من الجدارة بالثقة لدى

الآخرين وبتأثير تلك الهالة ينسى كثير من الناس طبيعة مجال تفوق هؤلاء، وإذا بهم يسألونهم عن كل شيء؛ وكثيراً ما يوهم ذلك أصحاب الهالات بأنهم جديرون بالإجابة عن كل شيء، وصائبون في فعل كل شيء!

وفي ذلك يقول الإمام علي: "قصم ظهري رجلاً: عالم متهتك، وجاهل متنسك"؛ فالجاهل المتنسك يغر الناس بتنسكه، والعالم المتهتك يغرهم بعلمه؛ بمعنى أن هالة علم العالم تجعل تهتكه شيئاً مقبولاً بل وحسناً؛ وكذا هالة تنسك الناسك فتجعل من جهله شيئاً مقبولاً بل وحسناً. ومن هذا المنطلق استغل المشاهير في الإعلانات عن المنتجات التجارية، فيكفي أن يكون النجم الفلاني يستخدم الشيء الفلاني لتثبت بذلك جودته لدى العوام!

وكثيراً ما يُسأل المشاهير من الرياضيين والفنانين عن قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وينفعل بعض الناس بأجوبتهم أكثر مما ينفعل بأجوبة المختصين!

بل إن المتخصص والذي حصل على أعلى الشهادات في تخصصه لا تعفيه تلك الهالة من إيراد الأدلة على ما يُسأل عنه في تخصصه. وفي ذلك يقول الإمام علي رضي الله عنه: "إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله".

وقد حفظ عن أهل العلم أقوال مشابهة كقولهم: "أستاذي حبيب إليّ، ولكن الحق أحب إليّ منه". وبعضها يعبر عن هذا المنحى في الأمور الدينية خاصة، كقولهم: "كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد، إلا صاحب الحوض".

أما إذا لم نتمكن من النظر إلى الرأي لعدم الأهلية لم يبق أمامنا إلا النظر إلى صاحبه؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بعد فقدان الأهلية للنظر إلى الرأي.

ويوضح ابن تيمية المعايير التي يجب الاستناد إليها في معرفة صاحب الرأي السليم الواجب الاتباع فيقول: إن المستدل إنما يستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحب الرأي السليم وصدقه ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلاً؛ لأن العلم بجنس الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح، بل إن جمل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم، ولذلك يسمى ذلك معروفاً ومنكراً.

ويمثل ابن تيمية لذلك بقوله: إن "الناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك؛ فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة، وكذلك من أظهر قصداً وعملاً كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق فإنه لا بد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة".

وما ذهب إليه ابن تيمية أكد عليه الغزالي، بل وكثير من المفكرين الغربيين المعاصرين.

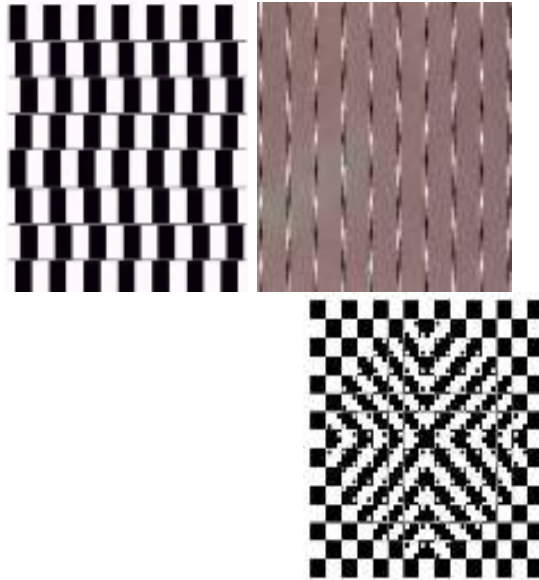
العنصر الثاني: خطأ: أنفراط طرف بوضع متاور الكوار

عزيزي الدارس، إن عدم التثبت يشتمل على عدة مناح:

الأول: عدم الاستيثاق من الإدراك الحسي:

ينفر الإسلام ويحذر من هذا المنحى فيقول صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع". وذلك أن الإنسان لا يحفظ كل ما يسمعه. ويرسم ابن عباس رضي الله عنهما القدوة في الاستيثاق الحسي بقوله: "يا أيها الناس، اسمعوا مني ما أقول لكم وأسمعوني ما تقولون ولا تذهبوا فتقولوا قال ابن عباس".

وتؤكد الصور التالية على أهمية التثبت وعدم التسرع في الحكم على الأشياء، فقد يدرك الحس شيئا ويقطع به، والفحص يظهر أمرا آخر لا يدركه الحس للوهلة الأولى:



فالخطوط في هذه الصور قد يراها عامة الناس مائلة

بينما يبين الفحص أن كل خطوطها مستقيمة.

الثاني: عدم الاستيثاق من الإدراك العقلي:

ويرسم لنا النبي ﷺ قدوة في الاستيثاق من الإدراك العقلي للأمور في مواقف عديدة، منها قوله لما عز بن مالك: "ويحك! لعلك قبلت أو لمست أو غمرت أو نظرت؟! قال: لا، قال: أفعلتها؟ قال: نعم". ويشمل النوعين السابقين من الاستيثاق قوله ﷺ: "لا تشهد بما لم يعه سمعك ويفقهه قلبك".

وتبين الصورتان التاليتان أهمية الاستيثاق من الإدراك العقلي، فالحس قد يقبلهما على أنهما واقعا حقيقيا بينما الفحص العقلي يبين استحالتهما.



فيظهر للناظر إلى القسم العلوي من هذه الصورة أن من يقف بأعلى هو الأعلى؛ بينما يظهر للناظر إلى القسم السفلي منها أن من يقف بأسفل هو الأعلى!!!.

فالعمود الأصغر في منتصف هذه الصورة يحسب الناظر إلى أعلاه أنه هو الأقرب له، ويحسب الناظر إلى قاعدته أنه هو الأبعد عنه!!!.

الثالث: عدم الاستيثاق من صحة الخبر:

ينفر الكتاب المقدس ويحذر من هذا الخطأ بقوله: "الْعَبِيُّ يُصَدِّقُ كُلَّ كَلِمَةٍ، وَالذَّكِيُّ يَنْتَبِهُ إِلَى خَطَوَاتِهِ".

ويحذرنا المولى عز وجل من هذا الخطأ فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

ومن هذا النوع من الاستيثاق ما يحكيه القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام في قوله للهدد: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

ومنه كذلك سؤال الرسول ﷺ لصحابته لما جاءه ماعز معترفاً بالزنا: "أبصاحبكم مس؟".

ومن عدم الاستيثاق من صحة الخبر التسرع في محاولة التخلص مما يعيبه الخصم قبل التحقق من صدق دعواه: وهكذا نستخدم عقل المخالف مقياساً للنظر من حيث لا نشعر.

وهذه المناحي الثلاثة يجمعها قول الرسول ﷺ: "نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه". . فهذا العبد قد استوثق من أنه قد سمع حديث الرسول ﷺ واستوثق من أنه قد وعاه بعقله؛ ولم يقصر في أن يبلغه صحيحاً موثقاً.

ملخص أصول الحوار النبوية

عزيزي الدارس، إن ناشد الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد غيره؛ كائنا من كان ذلك الغير: كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، ديناً أو كافراً، عظيماً أو حقيراً؛ فمعينه ليس خصماً له: فلا يذمه، ولا يلومه؛ بل هو مشكور: يكرمه، ولا يبخسه حقه.

فالحكمة لم يختص الله بها الكبار دون الصغار؛ ولا الرجال دون النساء؛ ولا المؤمنين دون غيرهم؛ ولا الإنسان دون الحيوان؛ ولا أصحاب الهالات دون غيرهم

بل إن المتخصص والذي حصل على أعلى الشهادات في تخصصه لا تعفيه تلك الهالة من إيراد الأدلة على ما يُسأل عنه في تخصصه.

أما إذا لم نتمكن من النظر إلى الرأي لعدم الأهلية لم يبق أمامنا إلا النظر إلى صاحبه؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بعد فقدان الأهلية للنظر إلى الرأي. وعندئذ نستدل بما نعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحب الرأي السليم وصدقه ثم نستدل بعلمه وصدقه على ما لم نعلمه تفصيلاً؛ وذلك أن العلم بجنس الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح، بل إن جمل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم، ولذلك يسمى ذلك معروفاً ومنكراً. وعوام الناس يميزون بين الصادق والكاذب حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك بنفس هذا المنهج.

عزيزي الدارس، إن من أخطاء الحوار العظيمة عدم التثبت من أي من الإدراك الحسي، أو العقلي، أو صحة الخبر. فالحوار المنبني على معلومات باطلة لا شك باطل.

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤هـ) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

المكتب والمراجع الموصى بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.
- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.

- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة الثامنة، فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة التاسعة، الذي ينعقد بإذن الله، حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية التاسعة
أخطاء الحوار

مبجّل

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد
أخي الطّالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس التاسع
من سلسلة الدّروس المقرّرة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدّراسي، آمليّن أن تجدَ فيها كلّ المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نُهايات الوحيّة النّعليلة

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدّرس، يُتاحُ لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف علي بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في
هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: المصادرة على المطلوب.
٢. خطأ: ألا تتناسب قوة الاعتقاد مع قوة الدليل.
٣. خطأ: التسرع في إلزام الخصم بلازم قوله.
٤. خطأ: طلب البينة من المدعى عليه.
٥. خطأ: استخدام العبارات الحماسية عوضاً عن الدليل.
٦. خطأ: إصدار الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة.
٧. خطأ: حصر الجواب في وجهين باطلين أو أكثر.
٨. خطأ: حصر الجواب بعيداً عن الرأي الصحيح.

العنصر الأول : خطأ المصادرة على المطلوب

ويقصد بالمصادرة على المطلوب: التدليل بالدوران، وبمعنى آخر أن يكون الدليل هو عين الدعوى.

كقول القائل: " رأي س من الناس حق؛ لأنه من أهل الحق؛ وهو من أهل الحق؛ لأن رأييه حق"، وكأن قائل ذلك يقول: " رأي س من الناس حق.....لأن رأييه حق".

وكقول القائل: " هذه الصفقة ستحقق لنا أرباحا ممتازة ستساعدنا على تعويض الخسائر التي عانينا منها سريعا، وهذا يثبت خطأ من يقولون بأن عقد هذه الصفقة ستجلب علينا ديونا كبيرة".

العنصر الثاني: خطأ: ألا تتناسب قوة الاعتقاد مع قوة

البرهان

فالأشياء من حيث يقيننا بوجودها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أشياء مقطوع بوجودها، وأشياء ممكنة الوجود، وأشياء مقطوع بعدم وجودها. وهذه الأقسام الثلاثة تقابل في الأحكام الشرعية: الأوامر، والمباحات، والنواهي.

وبقليل من التأمل يتبين لنا أن المجموعة الوسطى هي الأكبر؛ رغم أن كثيراً من الناس يتعامل معها على إنها محدودة جداً.

فالسذج يضيفون كثيراً من الممكنات العقلية إلى حيز المقطوع بوجوده، وكثيراً من المباحات الشرعية إلى حيز المأمور به شرعاً؛ بل قد لا يكتفون بذلك حتى يبنون على الممكنات العقلية والمباحات الشرعية قضايا كبرى.

وفي الجانب الآخر نجد الشكاك يضيفون كثيراً من الممكنات العقلية إلى حيز المقطوع بعدم وجوده. وكثيراً من المباحات الشرعية إلى حيز المنهي عنه شرعاً.

وهناك من لا يكتفي بكون المجموعة الوسطى هي الأكبر فيأبى إلا أن يجعلها أكبر وأكبر على حساب المجموعتين الأخرتين؛ فيكاد يصبح كل شيء عند هؤلاء ممكناً وحلالاً؛ وهؤلاء هم من نسميهم بدعاة الانحلال.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بقليل من التأمل يتبين أنه ليس كل ما في كل مجموعة من المجموعات الثلاثة سالفه الذكر متساو مع بعضه في درجة اليقين؟.

فداخل دائرة الممكن ما هو أقرب إلى المقطوع بعدم وجوده بنسب متفاوتة، وما هو أقرب إلى المقطوع بوجوده بنسب متفاوتة، وكذلك الحال بالنسبة للمقطوع بوجوده أو عدم وجوده فدرجة القطع متفاوتة في كل حالة.

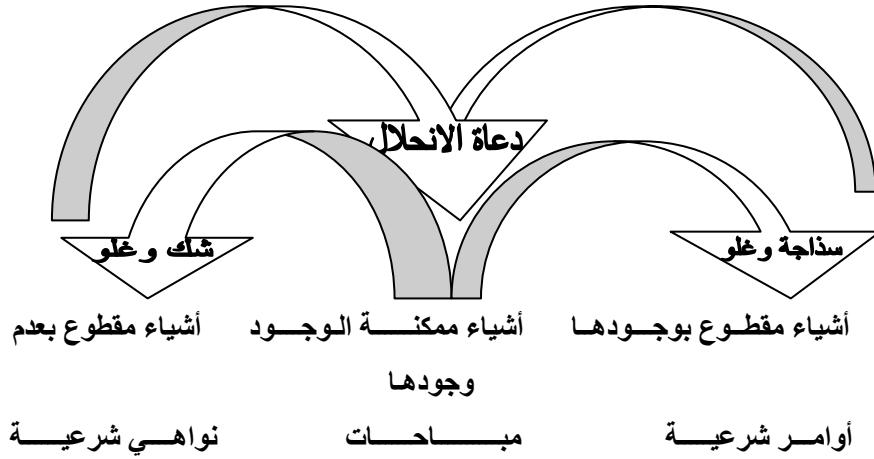
وكذا الحال بالنسبة للمباحات الشرعية فمنها ما هو أقرب للمأمور به بنسب متفاوتة (المندوب بدرجاته: السنة المؤكدة، والسنة غير المؤكدة)، ومنها ما هو أقرب للمنهي عنه بنسب متفاوتة (المكروه بدرجاته: كراهة التحريم، وكراهة التنزيه).

وكذا الحال بالنسبة للأوامر والنواهي الشرعية فدرجات الأمر متفاوتة (فهناك: فرض العين، وفرض الكفاية، والواجب)؛ ودرجات النهي متفاوتة (فهناك: المكفرات، والكبائر، والصغائر).

وإذا أردنا أن نضع كل أمر من الأمور في موضعه من اليقين أو من الوجوب داخل هذه الأقسام الثلاثة فليس لنا إلا أن نضعه حسب قوة الأدلة المتاحة.

فإن قوة الاعتقاد لا بد وأن تتناسب مع قوة الدليل تمامًا بلا زيادة أو نقصان وإلا وقعنا في مغالاة أهل الشك أو مغالاة أهل السذاجة أو مغالاة دعاة الانحلال.

ولعل الرسم التخطيطي التالي يوضح هذه الفكرة:



$$- 4 - 3 - 2 - 1 - 0 + 1 + 2 + 3 + 4 + 5 + 6 \infty$$

$$\infty 6 - 5$$

ولنا في علماء الإسلام قدوة في الالتزام بمبدأ تناسب قوة الاعتقاد مع قوة الدليل:

أولاً: حين قسموا أحاديث الرسول ﷺ إلى درجات عدة حسب قوة الأدلة على صحتها؛ فوجدنا:

❖ الحديث الصحيح بدرجته (وهو ما يندرج في المجموعة الأولى "المقطوع به").

❖ ثم الحسن بدرجته (وهو ما يندرج في المجموعة الثانية "ممكن الوجود").

❖ ثم الضعيف بدرجته (وهو ما يندرج في المجموعة الثانية كذلك).

❖ ثم الموضوع (وهو ما يندرج في المجموعة الثالثة "المقطوع بعدم وجوده").

وثانياً: حين قسموا النصوص بحسب دلالتها إلى قسمين وجعلوا لكل قسم مراتب عدة في قوة الدلالة:

❖ القسم الأول: واضح الدلالة (وواضح الدلالة على الأمر أو الوجود بمراتبه يندرج في المجموعة الأولى؛ وواضح الدلالة على النهي أو عدم الوجود بمراتبه يندرج في المجموعة الثالثة).

❖ والقسم الثاني: غير واضح الدلالة. (وهو ما يندرج بمراتبه في المجموعة الثانية).

وثالثاً: حين بنوا أحكامهم الفقهية على مراعاة قوة الدليل (من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة): فأتت أحكامهم متدرجة القوة؛ فوجدنا:

❖ فرض العين وفرض الكفاية والواجب (وهو ما يندرج في المجموعة الأولى).

❖ والسنة المؤكدة وغير المؤكدة والمباح والمكروه تنزيهاً وتحريماً (وهو ما يندرج في المجموعة الثانية).

❖ والصغائر والكبائر والمكفرات (وهو ما يندرج في المجموعة الثالثة).

وهذا ما لا نجد له مثيلاً في تاريخ البشرية.

العنصر الثالث: خطأ: التسرع في إلزام الخصم بلزام قوله

ولا يجوز إلزام الخصم بلزام قوله إلا إذا التزمه: إما صراحة؛ وإما بالقرائن القاطعة.

فإن كان غافلاً عن لزوم قوله لما لا يعتقد أنه نيهناه ولا نلزمه بما غفل عنه.

ويرسم لنا القرآن الكريم قدوة في ذلك، يقول تعالى عن اليهود: ﴿وَمَا قَدَرُوا

اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي

جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾. فهذا بين القرآن لهم لزوم قولهم ما لا

يعتقدون ولم يلزمهم القول بما لا يعتقدون.

العنصر الرابع: خطأ: طلب البينة من المصِّدِّ عليه

فدائماً ما يعتمد أعداء النجاح إلى إثارة شائعات واتهامات دون إثباتات حول كل ناجح مطالبينه بالرد عليها استفراغا لجهدهِ وإضاعة لوقته، فإن لم يفعل زعموا سكوته دليلاً لهم على صدقهم. والبينة على من ادعى لا على المدعى عليه؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "لو يُعطى الناس بدعواهم، لادّعى رجالٌ أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدّعي واليمين على من أنكر".

وإلى هذا المبدأ يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾.

فليس مطلوباً من طرف أن يأتي بدليل على بطلان دعوى غيره العارية من الأدلة وشبهها، فإن فعل، فذلك له نافذة غير واجبة. أما إن أتى طرف بما زعمه دليلاً: صح أو بطل، وجب على طرف الحوار الآخر أن يجيبه ويبين بطلان ما أورده إن كان باطلاً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. . وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. فليس من باب طلب الدليل من الآخر على بطلان مذهب المتكلم العاري من أدلة الإثبات، وإنما هو تحد بعدم الفعل.

العنصر الخامس : خطأ: استعمال العبارات الحماسية عوضاً عن الدلائل

كقول بعض المتحاورين: "هذا الكلام مردود عليه"، "هذا كلام غير معقول وغير مقبول"، "إن الإسلام لا يمكن أن يكون هكذا"، "إن هذا يتعارض مع روح الدين"، بل يصل الأمر ببعض المتحاورين لتأكيد وجهة نظره أن يقول: "لو كان الدين هكذا فأنا كافر به"!!! وكثيراً ما تستعمل العبارات الحماسية للنيل من الشخص المتحاور معه لصرف الأنظار بعيداً عن موضوع الحوار والأدلة والبراهين كقول القائل: "هذا الكلام لا يقوله: عاقل، أو محب لوطنه، أو لدينه... الخ"؛ أو "ليس هكذا رأي السلف"، دون بيان للمقصود بالسلف وللمعايير التي لا بد وأن تتوافر في الشخص حتى يوصف بأنه من السلف، ومتى ولما يكون رأي السلف حجة على الخلف؟!

العنصر السادس: خطأ: إصهار الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة

من الأخطاء التي ينبغي الحذر منها أنا حين نكون اعتقاداً ما فإن القوى غير الواعية فينا تحشد على نحو خفي كل الأدلة والبراهين التي تقويه وتجعله أمراً غير قابل للنقاش.

وحيث تأتينا معلومات تناقض ما انتهينا إليه، فإنه من المعتاد للنفس البشرية محاولة الإفلات من التغييرات التي تقتضيها المعلومات الجديدة ومحاولة تحويلها أو إسقاطها من الاعتبار أو التشكيك في صحتها؛ بل وإسقاطها من الذاكرة كلية فلا يتم تخزينها في العقل ولو أردنا تذكرها لم نستطع.

والسبب في ذلك يرجع لرغبة خفية في النفس لإراحة العقل من عناء البحث والتمحيص ومن هنا تتبع جاذبية المسلمات وخطورتها في أن واحد.

ومن أمثلة الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة: قول إبليس الذي يحكيه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. حيث عمد إلى القياس العقلي بناء على افتراضات

مسبقة رآها هو وحده، وهي: أن النار أفضل من الطين، والفاضل لا يسجد للمفضول.

ومن أمثلة الأحكام الجزافية تلك العبارات التي يستخدمها بعض المتحاورين للتشكيك في مخالفاتهم وبلبله أفكارهم ووضعهم في موقف دفاعي، مثل:

"ما الذي تحاول أن تخفيه؟!"

لماذا لا تعرض كل الحقائق للحاضرين؟!

لمصلحة من هذا الكلام؟!"

ويمكن توضيح الخطأ والصواب في الأحكام الجزافية بطرح سؤال يكشف عن المحذوف في العبارة، مثل: "من الذي أصدر هذا الحكم؟ وعلى أي أساس أصدره؟".

ويمكن إمالة اللثام عن حقيقة الافتراضات المسبقة بطرح السؤال التالي: "ما الذي جعلك تظن أن....؟" ثم أكمل الافتراض المسبق.

وتنفيرا من هذا الخلق، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث". . ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

ويقدم لنا النبي صلى الله عليه وسلم علاجاً لهذا المرض فيقول: "ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن. فقال الرجل: وما يذهبن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال صلى الله عليه وسلم: إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض".

وحسن الظن لا يعني الغفلة وعدم الحذر؛ وإنما يعني إظهار الأدب، وإبطان الحيطة.

العنصر السابع: خطأ: حصر الجواب في وجهين باطلين أو أكثر

فمن أخطاء الحوار: حصر الجواب في وجهين باطلين أو أكثر، ويكون للجواب وجه صحيح لا يذكره المحاور في خياراته ويخفيه على الخصم، موهما له بانحصار الجواب فيما هو معروض من خيارات. ومن أمثلة ذلك قول القائل: هل أنت معي أم ضدي؟. " فهذا السؤال ينحل إلى سؤالين، الأول: هل أنت معي أم لا؟. والثاني: هل أنت ضدي أم لا؟.

وكذا قول السائل: هل أنت قبطي أم مسلم؟. فينحل إلى سؤالين كذلك: أحدهما: هل أنت قبطي أم لا؟ وثانيهما: هل أنت مسلم أم لا؟. فيكون جمعا لمسألتين في مسألة واحدة.

إن ورود سؤال واحد ينحل إلى أكثر من سؤال قد يحير المجيب ويوقعه في الغلط، فكوني لست معك لا يعني أنني ضدك. وكوني قبطيا لا يعني أنني لست مسلما.

العنصر الثامن: خطأ: حصر الجواب بعنصر من الرأي الصحيح

بمعنى أن يستثنى الرأي الصحيح من القبول ثم يطلب من الطرف الآخر البحث عن الإجابة الصحيحة. وفي ذلك يقول الفيلسوف اليوناني القديم سقراط لمحاورة ثراسيماخس: أنت حكيم يا ثراسيماخس، وتعلم جيدا أنك لو سألت أحدا: ما الأعداد التي ينتج حاصل ضربها العدد اثنا عشر؟ وقلت له حذار أن تقول إنها: الواحد أو الاثنين أو الثلاثة أو الأربعة أو الستة، أو اثنا عشر، وقلت له إنك لا تقبل منه هذه السخافات؛ فإني أجرو على القول إنك تعلم أن لا أحد في الدنيا يجيب على سؤال مقدم على هذه الصورة؛ فإذا قال لك المسؤول: يا ثراسيماخس أوضح فكرك؛ أيمكنني أن أجيب بغير ما ذكرت؟ فماذا كنت تجيبه؟!!!.

ملخص الأصول الثمانية

عزيزي الدارس:

- إن من أخطاء الحوار المصادرة على المطلوب أو التدليل بالدوران بمعنى أن يكون الدليل هو عين الدعوى.
- إن قوة الاعتقاد لا بد وأن تتناسب مع قوة الدليل تمامًا بلا زيادة أو نقصان وإلا وقعنا في مغالاة أهل الشك أو مغالاة أهل السذاجة أو مغالاة دعاة الانحلال.
- لا يجوز إلزام الخصم بلازم قوله إلا إذا التزمه صراحة أو بالقرائن القاطعة؛ فإن كان غافلاً عن لزوم قوله لما لا يعتقد نبهناه ولا نلزمه بما غفل عنه.
- البيئة على من ادعى لا على المدعى عليه، وليس مطلوباً من طرف أن يأتي بدليل على بطلان دعوى غيره العارية من الأدلة وشبهها، فإن فعل، فذلك له نافذة غير واجبة. أما إن أتى طرف بما زعمه دليلاً: صح، أو بطل؛ وجب على طرف الحوار الآخر أن يجيبه ويبين بطلان ما أورده إن كان باطلاً.
- كثيراً ما تستعمل العبارات الحماسية للنيل من الشخص المتحاور معه لصرف الأنظار بعيداً عن موضوع الحوار والأدلة والبراهين.
- من الأخطاء التي ينبغي الحذر منها أنا حين نكون اعتقاداً ما فإن القوى غير الواعية فينا تحشد على نحو خفي كل الأدلة والبراهين التي تقويه وتجعله أمراً غير قابل للنقاش؛ وحين تأتينا معلومات تناقض ما انتهينا إليه، فإنه من المعتاد للنفس البشرية محاولة الإفلات من التغييرات التي تقتضيها المعلومات الجديدة ومحاولة تحويرها أو إسقاطها من الاعتبار أو التشكيك في صحتها؛ بل وإسقاطها من الذاكرة كلية فلا يتم

تخزينها في العقل ولو أردنا تذكرها لم نستطع؛ والسبب في ذلك يرجع لرغبة خفية في النفس لإراحة العقل من عناء البحث والتحصيل ومن هنا تنبع جاذبية المسلمات [أو الظنون بنوعيتها: الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة] وخطورتها في آن واحد. . ويمكن توضيح الخطأ والصواب في الأحكام الجزافية بطرح سؤال يكشف عن المحذوف في العبارة، مثل: "من الذي أصدر هذا الحكم؟ وعلى أي أساس أصدره؟". ويمكن إمالة اللثام عن حقيقة الافتراضات المسبقة بطرح السؤال التالي: "ما الذي جعلك تظن أن....؟" ثم أكمل الافتراض المسبق. . ويقدم لنا النبي ﷺ علاجاً لهذا المرض فيقول عليه وسلم: "إذا ظننت فلا تحقق". وحسن الظن لا يعني الغفلة وعدم الحذر؛ وإنما يعني إظهار الأدب، وإبطان الحيطة.

إن من أخطاء الحوار: حصر الجواب في وجهين أو وجوه باطلة، ويكون للجواب وجه صحيح لا يذكره المحاور في خياراته ويخفيه على الخصم، موهما له بانحصار الجواب فيما هو معروض من خيارات. وأحياناً أخرى يتم حصر الجواب بعيداً عن الرأي الصحيح، بمعنى أن يستثنى الرأي الصحيح من القبول ثم يطلب من الطرف الآخر البحث عن الإجابة الصحيحة. وكل ذلك يعد منافياً للأصل الحوار العدل في فرصة إبداء الرأي.

المراجع الأساسية في تحرير المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

الكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، دط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة التاسعة، فإلى لقاء يتجدد مع الوحدة العاشرة، الذي نعتقد بإذن الله، حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية العاشرة
أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس العاشر
من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدراسي، آملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نهارات الوحدة التعليمية

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: عدم الصدق في تحرير محل النزاع.
٢. خطأ: المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار.

العنصر الأول: خطأ: عدم التصديق في تقرير مثل النزاع

عزيزي الدارس، كثيرا ما يزعم أحد المتحاورين محلا للنزاع غير محله الحقيقي حرجا، أو خوفا، أو طمعا، ومن ثمة لا يثمر الحوار مهما قدم الطرف الآخر من أدلة وبراهين؛ ومن هنا تأتي أهمية الوقوف على المحل الحقيقي للنزاع ومن وسائل ذلك محاولة قراءة الأفكار.

العنصر الثاني: خطأ: المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار

عزيزي الدارس، إن المقصود بقراءة الأفكار هو معرفة ما يدور في خلد الآخر بطرق غير طريق اللغة الكلامية المباشرة، مثل اللغة الكلامية غير المباشرة (التحليلات اللغوية)، ومثل لغة الجسد، ومثل نبذة الصوت.

والناس في هذا الأمر على طرائق شتى: فمنهم من يبالغ في زعم القدرة على قراءة الأفكار، ومنهم من يغفل هذا الجانب لأبعد مدى، ومنهم من يعتبره قرينه لا بد وأن ينضم إليها ما يؤكد.

وثمة نوعان أساسيان من قراءة الأفكار:

- نوع يدعي صاحبه أنه قادر على قراءة أفكار الآخر؛ فنجدته يقول على سبيل المثال: "الآخر يتمنى لي الشر ولا يحب محاورتي".

- ونوع يزعم صاحبه قدرة الآخر على قراءة أفكاره هو؛ ومن ثمة يحاسبه على ذلك؛ فنجدته يقول على سبيل المثال: "إن كنت تحبني حقا لعلمت ما أردته!"، "ألا تدرك ما أشعر به؟!"، "يجدر بك أن تعرف أنني أحب ذلك!".

إن من يستخدم أيا من النمطين السابقين في تعاملاته مع الآخرين
لن يقيم حواراً معهم قط:

- فصاحب النمط الأول يزعم أنه يعرف ما يريد الآخرون قوله.
- وصاحب النمط الثاني يزعم أن الآخرين يعلمون ما يريد إيصاله لهم.

ويمكن مواجهة زاعمي قراءة الأفكار بما يلي:

- سؤال من يزعمون قدرتهم على ذلك السؤال التالي: "كيف تستطيع أن تعرف ما يدور بخلد الآخرين؟!"
- وسؤال من يزعمون قدرة الآخر على قراءة أفكارهم السؤال التالي: "كيف يتسنى للآخر أن يعرف أفكارك التي لم تبح بها؟!"

نعم، إن محاولة قراءة الأفكار لها أهميتها في محاولة استكمال التعرف على الآخر؛ فتظهر إحدى الدراسات الأمريكية أن ٧: ١٠% فقط من اتصالنا بالآخرين يتم عبر الكلمات، والباقي يتم عبر لغة غير كلامية تشمل: نغمة الصوت، ولغة الجسد. وتشير دراسة أخرى إلى أن "نجاح تقديم محاضرة يعتمد بنسبة ٧% على الكلمات الفعلية... للمحاضر وبنسبة ٣٨% على قوة الصوت وإيقاعه، ونسبة ٥٥% على حركات الجسد، أو ما يسمى بلغة الجسد".

والناس في مهارة قراءة الأفكار على درجات شتى يرجع بعضها إلى أصل الفطرة وبعضها إلى التعلم.

إلا أن هذه الممارسات الواسعة لمحاولات قراءة الأفكار لا تضيف الشرعية العلمية عليها كوسيلة معرفية مستقلة بالآخر؛ فهي وسيلة لا

تكفي وحدها للاعتماد عليها في فهم الآخر؛ فهي في نظرنا تقوم مقام القرينة لا البرهان في دلالتها، ومن ثمة فهي لا تدل إلا إذا انضمت إليها قرائن أخرى يقوي بعضها بعضاً حتى توصلنا إلى علم يقيني ما أوجنا إليه!

وذلك أن الإنسان كائن غير بسيط، بل هو بالغ التعقيد؛ لقد تكلم علماء النفس عن حيل الوجدان، وكيف يحاول الإنسان أن يخفي مشاعر الضعف التي يشعر بها، وأن يظهر ما يضادها، فإذا أضفنا إلى ذلك الفروق الفردية في التعبير عن المشاعر بلغة الجسد وما إليها نجد أن عملية التكهن بما في ذهن الآخر أصبحت غاية في الصعوبة، ومن هنا تتعدد تفسيرات هؤلاء الذين يصرون على قراءة أفكار الآخر وتضطرب وقلما تتفق.

على أن حديثنا هنا ليس عن المشاعر القوية التي تظهر علاماتها بشكل واضح وجلي على الجسد، وإنما حديثنا عن المشاعر اليومية للإنسان في ظروفه المعتادة لا الاستثنائية.

يقول كارول هاريس: "قد يشير التثاؤب إلى الملل، ولكنه أيضاً قد يشير إلى الإرهاق ونقص الأكسجين؛ ولضمان الفهم الصحيح للشخص الآخر فمن المفيد التعامل مع سلوكه ببساطة وكأنه معلومة ثم التأكد من هذه المعلومة أي من حقيقة شعوره أو تفكيره، وتستطيع أن تفعل ذلك بشكل مباشر بسؤاله عن أفكاره أو مشاعره، أو بشكل غير مباشر باختبار ملاحظتك والبحث عن دلائل أخرى تدعم ما توصلت إليه".

عزيزي الدارس، لعل من أهم وسائل قراءة الأفكار وأكثرها إهمالا

من الدارسين وأقربها إلى دارسي العلوم الشرعية واللغوية: "الحوار

اللغوي غير المباشر" أو (التحليلات اللغوية):

عزيزي الدارس، لا شك أننا بمجرد سماعنا لشخص يتكلم في موضوع ما يمكننا أن نحدد بدرجة ما: بلده، ونتعرف على خلفيته الثقافية والعقدية؛ بل وأحواله الصحية والنفسية؛ فهذا التعرف ناشئ عما أسميه بالحوار اللغوي غير المباشر، وهو حوار لغوي لأنه قائم على اللغة وهو غير مباشر لأن ما نحصله من معلومات منه لا علاقة لها بموضوع حديث المتحدث، وهو ما عبر عنه سقراط بقولته الشهيرة: "يا هذا تكلم حتى أرى من أنت". والإمام علي حين قال: "المرء مخبوء تحت لسانه"؛ وإذا كان هذا الأمر مشاهداً منا جميعاً، ولا يمكننا إنكاره فإنني أزعم أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أن كل لغة إنما تعبر عن العقل الجمعي لأربابها.

وعليه فإذا أردنا أن نفهم أنفسنا ونفهم الآخر جيداً: فرداً وجماعة، فلا بد وأن نتوقف أمام اللغة (بمستوياتها المتعددة: اللغة الخاصة بكل إنسان والتي تحمل بصمته ولا يشاركه أحد غيره فيها، ولهجة اللغة التي يتكلم بها جماعة من الناس، واللغة نفسها التي تتكلم بها جماعات عدة) لنتكشف حقيقة هذا الحوار اللغوي غير المباشر القابع تحت هذا الستار اللفظي.

وخطورة اللغة أنها ليست مجرد مرآة للفكر مظهرة له؛ وإنما هي فاعلة فيه كذلك: تتأثر به وتؤثر فيه؛ ففكر الأجداد ينعكس على الآباء ومنه على الأحفاد من خلال اللغة.

يقول ابن تيمية: "واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بينا".

ويقول جوزيف أوكونر وجون سيمون: "إن أولئك الذين يتعلمون لغة أخرى غير لغتهم الأصلية يحدث لهم تغييراً جذرياً في الطريقة التي يفكرون بها في العالم".

ويقول جورج أروويل: "إذا أفسد الفكر اللغة، فإن اللغة يمكنها أن تفسد الفكر أيضاً".

ومن دلالات وجود هذا الحوار اللغوي غير المباشر:

أو بعبارة أخرى كون اللغة صورة لفكر المتحدث بها مؤثرة على فكر المتعلم لها ما يلي:

١- إن ازدهار ظاهرة التمييز بين المذكر والمؤنث في اللغة العربية بعكس لغة كالانجليزية؛ كان له تأثيره على الفكر ومن ثمة السلوك لدى أرباب كل لغة:

فدرجة التفرقة في اللغة بين المذكر والمؤنث قابلها بنفس الدرجة تفرقة في الفكر؛ وظهر ذلك في السلوك؛ فلو عقدنا مقارنة بين هاتين اللغتين في هذه السمة لوجدنا في العربية من مظاهر التأنيث ما يلي:

- جمع المؤنث السالم.
- تاء التأنيث.
- ألف التأنيث: (المقصورة، والممدودة).
- الأسماء الموصولة: التي - اللتان - اللاتي - اللائي.

- أسماء الإشارة: - هذه- هذي- هاتيه- تلك- تانك- هاتان.
- الضمائر: هي..هن..أنت.. أنتن.. نون النسوة.. ياء المخاطبة. .

الخ

وهو ما لا نجد له مقابلاً في الإنجليزية المعاصرة عدا التفريق بين المذكر والمؤنث مع ضمير المفرد الغائب She - He وكذا ضمائر الملكية His Her.

ومظاهر تأثير هذه التفرقة اللغوية بين المذكر والمؤنث على الفكر ومن ثمة على السلوك كثيرة:

فإذا نظرنا مثلاً للون الملبس: لوجدنا عرب الجزيرة العربية يفرقون تفرقة حادة بين الرجل والمرأة في ذلك حتى حصروا كلا من الجنسين في لون معين هو أبعد ما يكون عن الآخر: الأسود للنساء والأبيض للرجال. في حين أن الغرب لم يفرق في الملبس هذه التفرقة الحادة فالكل يلبس الجينز؛ وذلك لأنه لم يفرق كثيراً في الفكر ولا في اللغة بينهما.

٢- استخدام كلمة Jerusalem في الإنجليزية، ويروشايم

ירושלים بالعبرية، للدلالة على القدس الشريف:

وهما في الحقيقة كلمة واحدة؛ فحرف (J) في الانجليزية يقابل (י) (الياء في اللغات السامية).

وهي كلمة تعني بالعبرية الرعب والسلام، أو السلام المؤسس على الرعب والخوف.

ومعنى ذلك أن الفكر العبري والإنجليزي لا يرى أملاً في تحقيق السلام في القدس إلا بالقوة والعنف وإثارة الخوف.

ورغم أن اسم "أورشليم" والذي يعني "نور السلام" أو "مدينة السلام" في كثير من اللغات السامية كالسومرية بل وفي العبرية أيضاً هو الأشهر عبر التاريخ بل والأقدم من اسم "يروشاليم"؛ إلا أن اليهود لم يطلقوا هذا الاسم الحالم المسالم قط على المدينة المقدسة، وآثروا عليه هم وأعوانهم الإنجليز اسماً من وضعهم ليعبروا به عن طبعهم.

٣- استخدام مسيحي مصر لفظ قبط للدلالة عليهم دون غيرهم من

المسلمين:

مع أن كلمة قبط كلمة يونانية الأصل وتعني سكان مصر فهي كلمة تدل على شعب لا على دين. والغرض من ذلك الاستخدام هو الإيحاء بأن مسلمي مصر مستعمرين عرب.

وللأسف أن هذا الخطأ يقع فيه جل مثقفي العرب.

ومن الطريف أنا نخطئ في ذلك ولا تخطئ شعوب أخرى فالإنجليز على سبيل المثال يطلقون على مصر EGYPT أي بلد القبط وهو لفظ قريب من كلمة (قبط) فالقلب بين القاف والجيم ظاهرة لغوية معروفة في معظم اللغات، ويطلقون على أهلها EGYPTIAN وأحياناً COPT أي الأقباط أو المصريين بصرف النظر عن دياناتهم؛ وإن كان المعنى الخطأ دخل في بعض القواميس الحديثة مع المعنى الصحيح فأصبح لكلمة COPT معنيان: مصري، ومسيحي.

٤- معاني كلمة JEW في اللغة الإنجليزية:

- يقول قاموس إلياس المصري: "JEW : يهودي- إسرائيلي - غش- ضحك على".

- ويقول معجم OXFORD: "Jew: sometimes offensive"

وكلمة offensive تعني: (مهاجم، مزعج، منفر، خبيث). وهذا الربط اللغوي بين كلمة يهودي وهذه المعاني لاشك يعبر عن صورة ذهنية لليهودي في الفكر الإنجليزي مرتبطة بهذه المعاني؛ وهي صورة لا شك سيئة.

وهي صورة لا تعبر عن رأي فرد بل رأي أمة. ولا تعبر عن رأي عصر محدود، بل تاريخ طويل – لا بد منه- لتكتسب الكلمات معانيها المعجمية الجديدة. على أن هذا الذي تضع اللغة يدنا عليه في دقيقة يؤكد تاريخ الأدب الإنجليزي: شعر، مسرح، رواية... الخ، وليس أشهر في الدلالة على هذه المعاني من مسرحية: تاجر البندقية لشكسبير، ومسرحية يهودي مالطة لكريستوفر مارلو.... الخ.

ولكن لنا أن نتساءل: إذا كانت هذه هي صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي كما تبينها اللغة الإنجليزية، فهل تفسر لنا اللغة الإنجليزية سبب المساعدات الأمريكية والإنجليزية على وجه الخصوص لإسرائيل؟! وهنا نجد الإجابة من تأملنا لبعض التراكمات اللغوية في الإنجليزية: وأكتفي في ذلك بمثال واحد لضيق المقام وهو: تقديم الصفة على الموصوف؛ فهذا التقديم في رأيي يعبر عن خلفية فكرية مهمة لأرباب هذه اللغة، فهو يعبر عن أن نظر أصحاب هذه اللغة إلى الصفات يسبق نظرها إلى الذات المتجردة عن الصفات. وذلك في تصوري يعني أن أهمية المرء تقدر بالنظر إلى صفاته العرضية ككونه: ذا دين، وذا لغة، وذا ثقافة وحضارة، وذا مال وقوة.... الخ؛ لا بالنظر إلى صفاته الجوهرية الملازمة لذاته كآدمي وكإنسان. بمعنى أن صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي كما توضحها دلالات كلمة: Jew وإن كانت مدعاة

لكراهيته، إلا أنها في نفس الوقت بالنظر إلى القاعدة اللغوية: (تقديم الصفة على الموصوف) مدعاة لمساعدته في إقامة وطن قومي في فلسطين؛ تخلصاً منه ومن صفاته القبيحة بإبعاده عن الغرب، واستغلالاً لصفاته القبيحة في تحقيق أطماع الغرب الاستعمارية، حتى وإن كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان الفلسطيني وسلبه كل حقوقه الإنسانية.

وخاصة بعد أن نجح الإعلام اليهودي في تشويه صورة الفلسطيني أمام الفكر الإنجليزي القديم؛ حتى غدا من معاني كلمة فلسطيني Philistine - في الاستخدام اللغوي الإنجليزي القديم - كما يقول معجم: WEBSTER:

an individual guided by material rather than intellectual
or artistic values

أي شخص تتحكم فيه المادة أكثر من العقل أو القيم الأدبية.

أو كما يقول معجم OXFORD:

person who has no interest in or understanding of the arts,
or is hostile to them: uncultured person

أي شخص لا يهتم ولا يفهم الآداب والفنون أو معاد لها: شخص غير مثقف.

وإن كانت صورة الفلسطيني الحقيقية فرضت نفسها على الثقافة الإنجليزية المعاصرة حتى محت تلك الصورة السيئة القديمة؛ فغدا معنى كلمة فلسطيني في اللغة الإنجليزية المعاصرة Palestinian خالياً تماماً من كل ما هو سلبي.

إلا أن الغرب تعامل مع القضية الفلسطينية وخاصة في بدايتها من منطلق نظرته إلى صفات اليهودي القبيحة، وصفات الفلسطيني

المزعومة؛ لا من منطق إنسانية كل منهما وحقوقه الإنسانية والتي منها محاولة الأخذ بيده، وهدايته؛ لا التخلص منه ولا سحقه.

قد يقال: إن دلالة اللغة وتراكيبها على اتجاهات فكرية وسمات خلقية معينة لأربابها ليست قطعية؛ فقد نجد أرباب لغات تقدمت الصفة على الموصوف في لغتهم ولم تتقدم في نظرتهم ومعاملاتهم مع غيرهم. وهذا في رأيي أمر صحيح؛ ولكنه لا يعني بحال الغض من شأن هذا الحوار اللغوي غير المباشر رغم أن دلالاته قد تتخلف مرة هنا ومرة هناك؛ لأنها تتأكد في مرات أخرى؛ إذا انضمت إليها قرائن من تاريخ طويل، وفلسفات معلنة، وأحداث مشاهدة صباح مساء.

نعم، إن القرينة لا تدل بمفردها، وقد تتخلف أحياناً؛ إلا أنها أيضاً تتقوى إذا اجتمعت مع قرائن أخرى حتى إنها قد توصلنا إلى علم يقيني – ما أخرجنا إليه- إذا كثرت واستفاضت.

ملخص الحوار المباشر

عزيزي الدارس، كثيرا ما يزعم أحد المتحاورين محلا للنزاع غير محله الحقيقي حرجا أو خوفا أو طمعا ومن ثمة لا يثمر الحوار مهما قدم الطرف الآخر من أدلة وبراهين؛ ومن هنا تأتي أهمية الوقوف على المحل الحقيقي للنزاع ومن وسائل ذلك محاولة قراءة الأفكار. والمقصود بقراءة الأفكار هو معرفة ما يدور في خلد الآخر بطرق غير طريق اللغة الكلامية المباشرة، مثل اللغة الكلامية غير المباشرة (التحليلات اللغوية)، ومثل لغة الجسد، ومثل نبرة الصوت.

عزيزي الدارس، لعل من أهم أخطاء الحوار المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار، فالناس في قراءة الأفكار على طرائق شتى: فمنهم من يبالغ في زعم القدرة على قراءة الأفكار، ومنهم من يغفل هذا الجانب لأبعد مدى، ومنهم من يعتبره قرينة لا بد وأن ينضم إليها ما يؤكد ما حتى يمكن الأخذ بها وهو ما نراه.

وثمة نوعان أساسيان من قراءة الأفكار: نوع يدعي صاحبه أنه قادر على قراءة أفكار الآخر؛ ونوع يزعم صاحبه قدرة الآخر على قراءة أفكاره هو؛ ومن ثمة يحاسبه على ذلك. إن من يستخدم أيا من النمطين السابقين في تعاملاته مع الآخرين لن يقيم حوارا معهم قط: فصاحب النمط الأول يزعم أنه يعرف ما يريد الآخرون قوله، وصاحب النمط الثاني يزعم أن الآخرين يعلمون ما يريد إيصاله لهم. ويمكن مواجهة زاعمي قراءة الأفكار بسؤال من يزعمون قدرتهم على ذلك السؤال التالي: "كيف تستطيع أن تعرف ما يدور بخلد الآخرين؟!". وسؤال من يزعمون قدرة الآخر على قراءة أفكارهم السؤال التالي: "كيف يتسنى للآخر أن يعرف أفكارك التي لم تبج بها؟!".

ولعل من أهم وسائل قراءة الأفكار وأكثرها إهمالاً من الدارسين وأقربها لطلاب العلوم الشرعية واللغوية: "الحوار اللغوي غير المباشر" أو (التحليلات اللغوية): وهو حوار لغوي لأنه قائم على اللغة وهو غير مباشر لأن ما نحصله من معلومات منه لا علاقة لها بموضوع حديث المتحدث، وإذا كان الحوار اللغوي غير المباشر مشاهدًا منا جميعًا، ولا يمكننا إنكاره فإني أزعم أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أن كل لغة إنما تعبر عن العقل الجمعي لأربابها.

وعليه فإذا أردنا أن نفهم أنفسنا ونفهم الآخر جيدًا: فردا وجماعة، فلا بد وأن نتوقف أمام اللغة (بمستوياتها المتعددة: اللغة الخاصة بكل إنسان والتي تحمل بصمته ولا يشاركه أحد غيره فيها، ولهجة اللغة التي يتكلم بها جماعة من الناس، واللغة نفسها التي تتكلم بها جماعات عدة) لنكتشف حقيقة هذا الحوار اللغوي غير المباشر القابع تحت هذا الستار اللفظي.

وخطورة اللغة أنها ليست مجرد مرآة للفكر مظهرة له؛ وإنما هي فاعلة فيه كذلك: تتأثر به وتؤثر فيه؛ ففكر الأجداد ينعكس على الآباء ومنه على الأحفاد من خلال اللغة.

قد يقال: إن دلالة اللغة وتراكيبها على اتجاهات فكرية وسمات خلقية معينة لأربابها ليست قطعية؛ وهذا في رأيي أمر صحيح؛ ولكنه لا يعني بحال الغض من شأن هذا الحوار اللغوي غير المباشر رغم أن دلالاته قد تتخلف في بعض المرات؛ لأنها تتأكد في مرات أخرى؛ إذا انضمت إليها قرائن من تاريخ طويل، وفلسفات معلنة، وأحداث مشاهدة صباح مساء.

نعم، إن القرينة لا تدل بمفردها، وقد تتخلف أحيانًا؛ إلا أنها أيضًا تنقوى إذا اجتمعت مع قرائن أخرى حتى إنها قد توصلنا إلى علم يقيني – ما أحوجنا إليه- إذا كثرت واستفاضت.

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

الكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة العاشرة، فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة الحادية عشرة، الذي ينعقد بإذن الله، حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية الحادية عشرة
أخطاء الحوار

مجلد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس الحادية
عشرة من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"،
لهذا الفصل الدراسي، آملي أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نصائح لتعلمية

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في
هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: استخدام صيغ الإمكان والاستحالة في غير محلها.
٢. خطأ: استخدام صيغ الضرورة بغير ضرورة.
٣. خطأ: استخدام أدوات التعميم في غير موضعها.
٤. خطأ: تناقض العبارات.
٥. خطأ: استخدام التكافؤ المتوهم بين كلمتين أو عبارتين.
٦. خطأ: الارتكان إلى الترجمة.
٧. خطأ: الغموض اللغوي الناشئ عن الحذف.
٨. خطأ: ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف.
٩. خطأ: الاستدلال بالإحصائيات غير السليمة.

العنصر الأول: خطأ: استخدام صيغ الإمكان والاستالة في غير مكانها

عزيزي الدارس، كثيرا ما تخلط بعض أطراف الحوار بين الإرادة والقدرة، فتتفني قدرتها في موضع نفي إرادتها، عن غير قصد أو بقصد الهروب من المجادلة (فالإرادة محل مجادلة أكبر من القدرة)، فيقول القائل: "لا يمكنني أن أتحدث مع الآخر!" وهكذا يجعل الأمر أكثر صعوبة من قوله: "لن أفعل، أو لا أريد أن أفعل".

ويمكن توضيح الخطأ في ذلك بطرح أسئلة مثل: ماذا سيحدث إن فعلت كذا؟ أو ماذا يمنعك عن فعل كذا؟.

العنصر الثاني: خطأ: استخدام صيغ الضرورة بغير ضرورة

عزيزي الدارس، إن من أمثلة هذا الخطأ استخدام عبارات مثل: "ينبغي أن، وينبغي ألا"، "يجب أن، ويجب ألا"، "ويلزم أن، ويلزم ألا". ومن ذلك قول القائل: "ينبغي ألا نتعامل مع الآخر!"؛ أو "ينبغي أن نتعالى على الآخر!" ويتم توضيح الخطأ من الصواب في صيغ الضرورة بطرح الأسئلة التالية: من الذي أوجب ما تقول؟ وعلى أي أساس أوجبه؟. وهل هو محق في ذلك؟. ولما كان محقا؟.

العنصر الثالث: خطأ: استخدام الصواب التعميم في غير موضعها

عزيزي الدارس، عادة ما يتم التعبير عن التعميم باستخدام ألفاظ من قبيل: "جميع" و"كل" و"دائماً" و"أبداً" و"لا أحد"؛ وهي كلمات لا تعرف للاستثناء باباً ولا طريقاً. وفي بعض الحالات نجد أن تلك الألفاظ غائبة لفظاً وإن كانت حاضرة معنى – أي ضمناً- كقول القائل: "الغرب يكرهنا".

ويتم توضيح الخطأ من الصواب في صيغ التعميم بطريقتين:

- الأولى: بطرح السؤال التالي: "هل حدث ولو لمرة واحدة أن شذت حالة عن تعميمك؟".

- الثانية: بمجارة الشخص الذي يقوم بالتعميم بشكل مبالغ فيه؛ حتى تظهر في النهاية تفاهة ذلك التعميم.

وفي أغلب الأحيان فإن اتباع هذا المنهج ينتهي بالشخص الذي أطلق التعميم إلى الدفاع عن وجهة النظر المعاكسة لوجهة نظره الأولى. وكلما اتخذت موقفه الأولي بتعصب أكثر منه، أضحى ذلك الشخص أكثر اعتدالاً في رأيه؛ إن هذا المنهج يشبه استخدام عدسة مكبرة لتبين لنا حقيقة شيء لا نراه بالطريقة المعتادة بأعيننا المجردة.

ويلفت القرآن الكريم الأنظار إلى خطأ مبدأ التعميم في كثير من الأحيان، في عديد من الآيات القرآنية عندما يستخدم أمثال هذه العبارات: "ليسوا سواء"، "فمنهم....ومنهم"، "وإن منهم"، "إلا قليلاً منهم"، "من الذين هادوا"، "ومن أهل الكتاب"، "وإن من أهل الكتاب"، "فريق منهم"، "طائفة منهم"، "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"، "وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" ... الخ.

ومن طرائف أخطاء التعميم تخطئة التعميم، بمعنى أن يظن بعض الناس بناء على ما ذكرنا أن كل تعميم باطل؛ وهذا ما لم يقل به أحد، ففي القرآن الكريم كثير من التعميمات؛ يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾. ويقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها وَتُوقَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

العنصر الرابع: خطأ: نناقض العبارات

عزيزي الدارس، إن من أمثلة هذا الخطأ وصف فرعون لموسى عليه السلام بأنه: "ساحر أو مجنون". وهما وصفان لا يجتمعان في إنسان؛ فشان الساحر العقل والفتنة والذكاء، والمجنون على العكس من كل ذلك.

وكقول أبي جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به".

العنصر الخامس: خطأ: استلزام التكافؤ المتهمة بين كلمتين أو عبارتين

عزيزي الدارس، يحدث التكافؤ المتهمة عندما يتم الربط بين كلمتين أو عبارتين بطريقة توهم أنهما يعنيان شيئاً واحداً، أو أن أحدهما تمثل النتيجة المنطقية للآخرى؛ كقول القائل: "أنت مسلم؛ فأنت إرهابي"، أو "أنا لا أفهمك؛ فأنت لا تسمعني!" ويمكن مواجهة التكافؤ المتهمة بطرح السؤال التالي: "كيف لهذا أن يساوي ذاك؟". أو "كيف لهذا أن ينتج ذاك؟".

ومن الأخطاء في ذلك توهم صحة العكس: فقولنا: "كل شافعي مسلم، لا يعني أن كل مسلم شافعي"؛ وقولنا: "كل مسيحي في مصر قبطي، لا يعني أن كل قبطي هو مسيحي مصري".

العنصر السادس: خطأ الارتكان إلى الترجمة

عزيزي الدارس، إن الخطأ هنا ليس في اللجوء إلى الترجمة وإنما في الارتكان إليها، فهناك فرق بين اللجوء والارتكان: فاللجوء يعني الاضطرار إلى الشيء مع العلم بإشكالاته ومشكلاته والحذر منها بقدر المستطاع، أما الارتكان فيعني الاعتماد عليه والاطمئنان إليه والرضى به.

والترجمة تكون من لغة إلى لغة أخرى، وتكون من صياغة لغوية إلى صياغة لغوية أخرى بنفس اللغة، أي نقل الكلام بتصرف فيه. والترجمة بنوعها ما هي إلا انعكاس لفهم المترجم للنص، أي هي نوع من التفسير، ولا يمكن لأية ترجمة مهما كانت دقتها أن تنقل جميع دلالات النص الأصلي القريبية والبعيدة؛ وذلك أن الكلمة في اللغة قد تحمل أكثر من معنى وظل للمعنى، والترجمة إنما تأتي بلفظ يعبر عن أحد هذه المعاني فقط – وهو ما يرشحه السياق من وجهة نظر المترجم- ولا يمكن أن يعبر عنها جميعاً؛ وإذا به يعبر عنه وعن معان أخرى وظلال معنوية جديدة، وربما أخذ أحد هذه المعاني الجديدة ليترجم مرة أخرى إلى لغة أخرى بلفظ يعبر عنه وعن معان جديدة أيضاً وظلال أخرى للمعنى وهكذا، ومع كثرة الترجمة تتراكم الاختلافات وتبعد العلاقة بين النص الأصلي والنص النهائي مهما كان حرص المترجم.

أضف إلى ذلك أن لكل لغة خصائصها الفريدة؛ فالأبجديات اللغوية لا تتساوى في عددها، ومن ثمة تحل الحروف محل مشابهاتها في الأسماء مما ينشأ عنه كثير من الخلط والغموض.

ورغم هذه الأهمية لتعلم اللغات الأجنبية، إلا أننا لا نعدم من يجادل في ذلك من منطلقات يزعمها بعض هؤلاء دينية، والدين منها براء؛ فتعلم اللغات الأجنبية من المنظور الإسلامي فرض كفاية: إن قصرت فيه الأمة أثمت جميعاً -كل بحسب موقعه- وإن قام به العدد الكافي من المسلمين سقط عن الباقيين.

العنصر السابع: خطأ: الغموض اللغوي الناشئ عن اللبس

عزيزي الدارس، إن حذف بعض المعلومات اللازمة لتوضيح كلام المتكلم وإزالة اللبس عنه، ينشأ عنه غموض لغوي، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- **المقارنة دون ذكر المقارن به:** كقول القائل: "نحن الأفضل" دون بيان للمقارن به؛ وأحياناً تكون المقارنة ضمنية دون استخدام صيغ المقارنة كقولنا: "نحن أمة فاضلة"، وما إلى ذلك من صفات إيجابية أو سلبية، لا تنطلق إلا من المقارنات، ويتم توضيح غموض المقارنات بطرح السؤال التالي: "مقارنة بمن؟".

- **استخدام المصادر في غير محلها:** ويعتبر المصدر مستخدماً في غير محله في حالة احتياج السامع إلى المعلومات المحذوفة من دلالة المصدر: كزمن الفعل، وفاعله؛ إن عبارة مثل: "التحاور مع الآخر خطأ كبير!" لا تكشف عن الفاعل ولا عن زمن الفعل ومن ثمة تسهل إساءة فهمها. ويمكن توضيح المصادر بطرح سؤال عن المعلومات الناقصة في حالة الاحتياج إليها.

• **عدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث:** كقول القائل: "بعض الشعوب الشرقية تمارس بعض العادات المردولة"؛ ولكي يكون هناك تواصل لغوي سليم مع الآخر فلا بد من توضيح المقصود من الأسماء غير المحددة بطرح سؤال من قبيل: "من؟ أو ما؟" من الذي يمارس؟ وما العادات التي تمارس؟ ولتوضيح المقصود بالأفعال غير المحددة يطرح السؤال التالي: كيف بالتحديد يمارس هذا الفعل؟ فحكمنا عليه فرع لتصوره.

ومن ذلك أيضاً قولنا: "إن س من الناس محبوب من أبناء وطنه مكروه من أعدائه؛ و ص من الناس مكروه من أبناء وطنه محبوب من أعدائه"؛ وبممارسة الحذف اللغوي؛ يمكن أن يقال: "كل من س و ص مكروه ومحبوب" فيظن السامع التساوي بينهما في فاعل المحبة والكراهية الواقعة عليهما.

ومن ذلك ما يروى عن بني جزيمة من قولهم لخالد بن الوليد لما دعاهم إلى الإسلام فأسلموا: "صَبَّأْنَا، صَبَّأْنَا". فجعل خالدٌ يقتلُ منهم ويأسر؛ وذلك لأن كلمة "صبأ" تعني: "خرج من دين إلى دين آخر"؛ وهم لم يبينوا الدين الذي خرجوا منه والدين الذي آمنوا به؛ ففهم خالد عكس ما قصدوا.

ومن ذلك وصف الشيء بصفة صفته؛ فحقيقة أن اللون الأبيض مفرق للبصر؛ يعبر عنه بعض المتكلمين بقولهم "هذا الجسم الأبيض مفرق للبصر"، فيجعل صفة تفريق البصر للجسم لا للون الأبيض.

ومن ذلك اشتراك عود الضمير: مثل قول القائل لما طلب منه أن يعلن سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصعد المنبر وقال: "أمرني

الأمير أن أسب عليًا. ألا فالعنوه، لعنه الله!". وهذا الإيهام جاء من جهة اشتراك عود الضمير، فأظهر أنه استجاب لدعوة الأمير وإنما قصد لعنه. ومثل جواب من سئل: من أفضل أصحاب رسول الله بعده؟ فقال: من بنته في بيته. فيمكن أن يفهم أن المقصود من بنته في بيت الرسول كأبي بكر رضي الله عنه، أو من كانت بنت الرسول في بيته كعلي كرم الله وجهه؛ وهي مسألة قام عليها خلاف كبير بين السنة والشيعة.

العنصر الثامن: خطأ ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف

عزيزي الدارس، إن ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف يعد خطأ حواريا؛ لأن ذكر الأقوى بعد الأضعف يقوي الأضعف فتتضاف قوة هذا إلى قوة ذاك؛ أما ذكر الأضعف بعد الأقوى فلا يلتفت إليه لأن القوي لا يحتاج إلى ضعيف يقويه.

وهذا المنهج يرشدنا إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات، منها:

❖ قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾. وفي

تفسير هذه الآية قال القرطبي: "وكانت كل واحدة أعظم مما قبلها". وقال الشوكاني: "أي كل واحدة من آيات موسى أكبر مما قبلها". وقال الطبري: كانت "أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات".

❖ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ

اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ . فنجد إبراهيم عليه السلام يبدأ بحجة قاطعة لا يمكن المشاغبة فيها إلا بالباطل، ومن ثمة شاغب النمرود فيها بالباطل؛ ثم أتى بالحجة التي أبهتته وقطعته وأعجزته عن المشاغبة حتى بالباطل.

وهنا يخلط بعض الناس بين ترتيب ذكر الأدلة وترتيب البحث في مصادر الأدلة؛ فعند البحث عن الأدلة في مصادرهما فالأولى أن يرتب البحث في المصادر من الأقوى إلى الأضعف، ومن المصدر الأهم إلى المصدر المهم.

وهو ما يرشدنا إليه النبي ﷺ لما بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُ: "كَيْفَ تَقْضِي؟" فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَيَسْئَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

صلی اللہ علیہ وسلم .

العنصر التاسع: خطأ الاستدلال بالإحصائيات غير السليمة

عزيزي الدارس، إن للإحصائيات مكانة مهمة في الحوارات، فيها تتم البرهنة على الآراء إن خلت من الأخطاء، ومن أشهر أخطاء الاستدلال بالإحصائيات ما يلي:

- الاستدلال بالإحصائيات التي لا تذكر حجم العينة التي أجريت عليها؛ فحجم العينة يتناسب طردياً مع مصداقيتها.
- الاستدلال بالإحصائيات التي لا يتناسب فيها حجم العينة مع حجم من ستعمم عليهم النتائج، فسؤال أربعة أشخاص عن رأيهم في موضوع واختلافهم فيه بنسبة ٢ إلى ٢ قد يعني أن نسبة الآراء المؤيدة والمعارضة متساوية بنسبة ٥٠% إذا كان من ستعمم عليهم النتائج عشرة أفراد مثلاً، أما إذا كان عدد من ستعمم عليهم النتائج آلافاً فلا بد أن تكون العينة أكبر من ذلك بكثير.
- الاستدلال بالإحصائيات التي لا تراعي أن تكون نوعية أفراد العينة ممثلة تمثيلاً حقيقياً لكل من ستعمم عليهم نتائجها. ومن الأمثلة على ذلك ما أشارت إليه إحدى الإحصائيات من أن ٧٠% من المدخنين الذين أجريت عليهم الإحصائية حاولوا من قبل أن يتوقفوا عن التدخين دون جدوى وهو أمر محبط بالنسبة للمدخنين الذين يحاولون الإقلاع عن التدخين. وخطأ هذه الإحصائية يتجلى من أنها لم تشمل سوى المدخنين فقط ومن ثمة

فمن الطبيعي أنه لم ينجح أحد منهم في الإقلاع عن التدخين، فالدراسة لا تشمل من حاول الإقلاع ونجح.

• الاستدلال بالإحصائيات التي تستهل بعبارة (تصل إلى) ثم نجد أن ما تنطبق عليه هذه النسبة المؤية بل وما يقاربها شيء غاية في القلة والضآلة. ومن أمثلة ذلك قول القائل: "تصل نسبة الأمية في بعض القرى إلى ٩٠%". دون أن يبين عدد هذه القرى، وعدد القرى المسكوت عنها، ونسبة الأمية فيها، والمجموع الكلي لنسبة الأمية في كل القرى.

• الاستدلال بالإحصائيات التي تعطي نسبة مئوية لشيء مقارنة بشيء نسبة حدوثه مجهولة؛ كقول القائل: "المشي في الريف يزيد من احتمال اصطدام أحد الشهب بك بنسبة ٣٠٠%". والمشكلة في هذه الإحصائية أنها لا تبين لنا معدل حدوث اصطدام الشهب في غير الريف.

الخلط بين البيانات الإحصائية والتقسيمات النوعية؛ فكثيرا ما يفهم من العبارات التي يقصد بها بيان الأنواع أن المقصود منها إعطاء إحصائية لبيان نسبة تواجد نوع مقارنة بنوع إلى آخر، وغالبا ما يتم ذلك بعد التغاضي عن بعض العبارات الواردة في السياق والتي لا تشفع لهذا الخلط، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: رجل علم الحق ف قضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل جار في الحكم فهو في النار". فكثير من الناس يستشهدون بالشق الأول من هذا الحديث على أن نسبة القضاة الظلمة إلى العادلين (اثنين إلى واحد) مع أن السياق بعد ذلك يبين أن الحديث عن أنواع لا عن نسب.

ملخص الوحدة التعليمية

عزيزي الدارس، عندما يخلط محاورك بين الإرادة والقدرة، فينفي قدرته قاصدا نفي إرادته، عن غير قصد أو بقصد، يمكنك توضيح خطأه في ذلك بطرح أسئلة مثل: ماذا سيحدث إن فعلت كذا؟ أو ماذا يمنعك عن فعل كذا؟.

عزيزي الدارس، عندما يستخدم محاورك صيغ الضرورة بغير ضرورة، يمكنك توضيح خطأه في ذلك بطرح الأسئلة التالية: من الذي أوجب ما تقول؟ وعلى أي أساس أوجبه؟ وهل هو محق في ذلك؟. ولما كان محقا؟.

عزيزي الدارس، عندما يخطئ محاورك في التعميم يمكنك توضيح خطأه بطريقتين: الأولى: بطرح السؤال التالي: "هل حدث ولو لمرة واحدة أن شذت حالة عن تعميمك؟". الثانية: بمجاراته بشكل مبالغ فيه؛ حتى تظهر في النهاية تفاهة ذلك التعميم.

عزيزي الدارس، إن من أخطاء الحوار تناقض العبارات، فاحذره، ولا تسمح لمحاورك بالوقوع فيه.

عزيزي الدارس، عندما يخطئ محاورك ويتوهم تكافؤا بين كلمتين أو عبارتين. يمكنك مواجهة ذلك بطرح السؤال التالي: "كيف لهذا أن يساوي ذاك؟". أو "كيف لهذا أن ينتج ذاك؟".

عزيزي الدارس، ليس من الخطأ اللجوء إلى الترجمة ولكن الخطأ في الارتكان إليها، وذلك أن الترجمة بنوعها ما هي إلا انعكاس لفهم المترجم للنص، أي هي نوع من التفسير، ولا يمكن لأية ترجمة مهما كانت دقتها أن تنقل جميع دلالات النص الأصلي القريبية والبعيدة، أضف

إلى ذلك أن لكل لغة خصائصها الفريدة؛ فالأبجديات اللغوية لا تتساوى في عددها، ومن ثمة تحل الحروف محل مشابهاتها في الأسماء مما ينشأ عنه كثير من الخلط والغموض.

عزيزي الدارس، إن حذف بعض المعلومات اللازمة لتوضيح كلام المتكلم وإزالة اللبس عنه، ينشأ عنه غموض لغوي ومن أمثلة ذلك: المقارنة دون ذكر المقارن به، استخدام المصادر في غير محلها، عدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث، وصف الشيء بصفة صفته، اشتراك عود الضمير.

عزيزي الدارس، إن ذكر الدليل الأقوى بعد الأضعف يقوي الأضعف فتتضاف قوة هذا إلى قوة ذاك؛ أما ذكر الأضعف بعد الأقوى فلا يلتفت إليه لأن القوي لا يحتاج إلى ضعيف يقويه. وهنا يخلط بعض الناس بين ترتيب ذكر الأدلة وترتيب البحث في مصادر الأدلة؛ فعند البحث عن الأدلة في مصادرها فالأولى أن يرتب البحث في المصادر من الأقوى إلى الأضعف، ومن المصدر الأهم إلى المصدر المهم.

عزيزي الدارس، إن للإحصائيات مكانة مهمة في الحوارات، فيها تتم البرهنة على الآراء إن خلت من الأخطاء، ومن أشهر أخطاء الاستدلال بالإحصائيات: الاستدلال بالإحصائيات التي لا تذكر حجم العينة التي أجريت عليها، والإحصائيات التي لا يتناسب فيها حجم العينة مع حجم من ستعمم عليهم النتائج. والإحصائيات التي لا تراعي أن تكون نوعية أفراد العينة ممثلة تمثيلاً حقيقياً لكل من ستعمم عليهم نتائجها، والإحصائيات التي تستهل بعبارة (تصل إلى) ثم نجد أن ما تنطبق عليه هذه النسبة المؤية بل وما يقاربها شيء غاية في القلة والضآلة، والإحصائيات التي تعطي نسبة مئوية لشيء مقارنة بشيء نسبة حدوثه مجهولة، ومن أخطاء الاستدلال بالإحصائيات كذلك: الخلط بين البيانات الإحصائية والتقسيمات النوعية.

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

الكتب والمراجع الموصى بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.
- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.

- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة الحادية عشرة، فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة الثانية عشرة، الذي ينعقد بإذن الله، حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية الثانية عشرة
أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
 أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس الثاني
 عشر من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
 الفصل الدراسي، آملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نهارات الوحدة الثانية

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في
 هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: الخلط بين المعاني اللغوية.
٢. خطأ: الخلط بين المعاني الاصطلاحية.
٣. خطأ: الخلط بين المعاني المجازية.

العنصر الأول: خطأ الخلط بين المعاني اللغوية

عزيزي الدارس، إن الخلط اللغوي بجميع صورهِ تتعاظم فرصته عندما يتميز معنى بشهرة ليست لغيره.

وأمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كثيرة، ومنها الخلط بين معاني كلمة "أخت"؛ فكلمة: "أخت" لها أكثر من معنى لغوي؛ والخلط بين هذه المعاني ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في قوله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ خطأ تاريخياً؛ وذلك أنهم لم يفهموا من الأخوة إلا الاشتراك في الأب أو الأم، ولم يفهموا إلا أن يكون المقصود بهارون هو هارون أخا موسى عليهما السلام؛ وبين مريم أم المسيح عليهما السلام المذكورة في الآية الكريمة، وهارون أخي موسى عليهما السلام مئات السنين.

وأصل الأخوة التساوي في الصفة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا

دَخَلْتُ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا﴾ أي مساويتها في الكفر، ومن ذلك أيضاً قوله

تعالى: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي مساويتها في

صفة الإعجاز، وسمي الأخ أخاً لمساواته أخاه في انتمائه إلى أب واحد أو أم واحدة.

وروي أنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت رضي الله تعالى عنها في غاية العبادة، فلما جاءت بعبسى عليه السلام من غير زوج واتهمها رضي الله عنها بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها: ﴿يَا أُخْتَ

هَارُونُ ﴿ أَي فِي الْعِبَادَةِ ﴾ ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾

متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله تعالى عنها وبين ذلك العابد سميت أخته على القاعدة. وقد يكون المقصود بهارون هنا النبي أخا موسى عليهما السلام، وقد كان الأكبر واعتبر منذ شبابه قائدا لقبيلته - بني لاوي- وكاهنهم؛ فما العجب في أن يقال لمريم "يَا أُخْتَ هَارُونُ"، في هذا الموقف - أي يا شبيهته- وقد كان له عليه السلام هذه المكانة الدينية في بني إسرائيل. وقيل: كان في ذلك الزمان فاسق يسمى هارون، فلما اعتقدوا فيها رضي الله عنها التهمة جعلوها أخته، أي في ذلك الفعل القبيح. وقيل إنها كانت من ذرية هارون عليه السلام وإنما قيل لها: "يَا أُخْتَ هَارُونُ" كما يقال: "يا أخا العرب" أي يا واحداً منهم، ويا أخا قريش، ويا أخا هذيل الخ.

- ومن أمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كذلك الخلط بين معاني كلمة "ابن وابنة" فهاتان الكلمتان قد يقصد بهما البنوة المباشرة التي تكون بين الأب وابنه أو ابنته وقد يقصد بها البنوة غير المباشرة بين الإنسان وجد من جدوده؛ وهذا الخلط بين المعاني اللغوية هو ما جعل بعضاً من اليهود والنصارى يخطئون القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي

أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا ﴾ ؛ ويقولون: إن مريم أم المسيح عليهما السلام ليست ابنة

عمران؛ فعمران هو أبو موسى عليه السلام، وبين موسى عليه السلام ومريم عليها السلام مئات السنين. فكأنهم لم يفهموا من البنوة إلا معنى واحداً؛ ولم يروا في التاريخ من تسمى بعمران إلا أبا موسى عليه السلام.

والإنسان يضاف لجدّه البعيد كما يضاف لأبيه؛ فمثلاً: كل من العهد القديم والعهد الجديد، وكذلك العالم كله اليوم يسمى اليهود "بنى إسرائيل" مع أنهم ليسوا أبناءه بل أحفاد الأحفاد، وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يُسمى ابن آدم عليه السلام، ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أبيه مرة وإلى أحد أجداده أخرى؛ وخاصة إذا كان ذا شأن عظيم.

- ومن أمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كذلك الخلط بين معاني كلمة (ظن) فكلمة "ظن" تدل في اللغة على الشك وعلى اليقين بحسب السياق؛ فالدلالة على الشك كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

بِمُسْتَيْقِينَ﴾؛ والدلالة على اليقين كما في قوله تعالى ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ

النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾؛ وقوله: ﴿الَّذِينَ

يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي

مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾؛ وهذا المعنى الثاني عندما غاب عن فهم بعض الناس

فهموا من الآيات السابقة أن الإيمان لا يحتاج إلى اليقين ويكفي فيه الشك.

- ومن أمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كذلك الخلط بين معاني كلمة (دهن) فكلمة "دهن" لها معنيان في العربية: أحدهما العطر، والآخر الشحم؛ ومن هنا فهم بعض الناس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا ترد: الوسائد والدهن واللبن"، أن المقصود بالدهن هنا المعنى الثاني؛ فنفروا

من سنة نبينا ﷺ ورأوا أن تطبيق السنة أمر صعب أحيانا بل ومضر بالصحة؛ والحقيقة أن المراد بالدهن هنا العطر ليس إلا.

- ومن أمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كذلك الخلط بين معاني "الواو العاطفة" فالواو العاطفة تجمع بين أجزاء الشيء مرة وبين صفاته أخرى؛ فالواو في قولنا محمد مسلم وعربي، تجمع بين صفات الشيء؛ ومن ثمة؛ فيصح وصفنا لمحمد مرة بأنه عربي، ومرة أخرى بأنه مسلم.

أما قولنا: "إن الخمسة اثنان وثلاثة" فلا يصح معه قولنا: "الخمسة اثنان"، أو "الخمسة ثلاثة"؛ كالمثال السابق لأن الواو هنا لعطف الأجزاء لا الصفات.

- وأحيانا يكون للفظ الواحد معان عدة بالنظر إلى تصريحه، أو باعتبار تذكيره وتأنيثه، أو كونه اسم فاعل أو اسم مفعول؛ مثل:
لفظ (العدل) فيأتي مصدرا مرة وصفة أخرى.
ولفظ (تقوم) يأتي خطابا للمذكر مرة وللمؤنث الغائبة أخرى.
ولفظ (المختار) فيأتي اسم فاعل مرة واسم مفعول أخرى.

العنصر الثاني: خطأ الخلط بين المعاني الاصطلاحية

عزيزي الدارس، إن من أمثلة هذا النوع من الأخطاء الخلط بين معاني مصطلح (الوهابية) وذلك أن الوهابية في الاصطلاح يقصد بها فرقان متباينتان: الأولى: سنية مشهورة ومعروفة، قامت في وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . والثانية: فرقة خارجية إباضية سابقة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ظهرت في المغرب في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، على يد الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وتكاد لا تعرف في يومنا هذا حتى لكثير من العلماء؛ وقد وجد أعداء الوهابية السنية بغيتهم في ذلك، حيث أتوا بفتاوى سنية صدرت في حق الفرقة الخارجية الإباضية وروّجوا لها ليفهم الناس أن المقصود بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ومن أمثلة هذا النوع من الأخطاء كذلك الخلط بين معاني مصطلح (المارونية) فمصطلح المارونية يقصد به في الاصطلاح فرقان:

أحدهما متوافقة مع الإيمان الكاثوليكي نشأت في القرن الخامس الميلادي وكثيراً ما تنسب للقديس مارون الأنبا، ويقدر أتباعها اليوم في لبنان وسوريا بالمليون نسمة أما في بقية دول العالم فليس لهم حصر دقيق. . والأخرى مضادة للإيمان الكاثوليكي نشأت في أواخر القرن السابع الميلادي وكثيراً ما تنسب للقديس يوحنا مارون، ولم يعد لها اليوم وجود. وما حدث مع الوهابية حدث مع المارونية من تعمد أعدائهم الخلط بينهما وإصباغ عقائد الثانية على الأولى تنفيراً للكاثوليك منها.

ومن أمثلة هذا النوع من الأخطاء كذلك الخلط بين معاني مصطلح (السنة) فهذا المصطلح يقصد به معان ثلاثة:

ففي اصطلاح علماء الحديث، السنة هي: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية". وذلك أن ما يعنيه إنما هو توثيق تاريخه صلى الله عليه وسلم مفصلاً.

وفي اصطلاح علماء أصول الفقه، السنة هي: "ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي". وذلك أن ما يعنيه إنما هو تعيين مصادر الأحكام. وفي اصطلاح الفقهاء، السنة هي: "ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها"؛ وتطلق أحياناً في مقابلة البدعة؛ وذلك أن ما يعنيه إنما هو إصدار الأحكام.

ولا شك أن الخلط بين هذه المعاني يؤدي إلى إشكالات كثيرة، فإذا تم الخلط بين مفهوم السنة عند الفقهاء ومفهوم السنة عند الأصوليين فسيتأذى ذلك إلى جهالات كبيرة منها اعتبار أن كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من سنة قولية أو فعلية أو تقريرية إنما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها؛ وإذا تم الخلط بين مفهوم السنة عند المحدثين ومفهوم السنة عند الفقهاء فسيؤدي ذلك إلى جهالات عظيمة منها الدعوة إلى التآسي به صلى الله عليه وسلم في صفاته الجسمية مثلاً.

ومن أمثلة هذا النوع من الأخطاء كذلك الخلط بين معاني مصطلح "الصوفية" فهذا المصطلح يقصد به معان ثلاثة:

الأول: علم السلوك، أو التصفية: أي تصفية النفس من العوالم الدنيوية، أو علم التخلية والتخلية أي تخلية النفس من أمراضها الباطنة، وتحليتها بالمكارم الإنسانية.

الثاني: فلسفة ظاهرها معارض للنص وحقيقتها مختلف في تأويلها؛

ومن أعلامها: ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، وابن سبعين، وذو النون المصري وغيرهم.

الثالث: جماعات عديدة تسمى بالطرق الصوفية لا يجمعها جامع عقدي أو سلوكي؛ كل منها يعطي لغيره من الطرق الصوفية الأخرى كافة الأحكام الشرعية: فيحكم على بعضها بالكفر، وبعضها بالفسق، وبعضها بالتبديع، وبعضها بالخطأ، وبعضها بمخالفة الأولى، وبعضها بالصحة، ويكيل الثناء لبعضها؛ بل ويجهل حقيقة بعض منها. واللافت للنظر، أن جل أصحاب الطرق الصوفية لم يقرأ الفلسفة الصوفية ويجهل أعلامها ومقولاتها، ولا تستهويه قراءتها؛ بل ولا يفهمها.

ومن ثمة فالخلط بين هذه المعاني الاصطلاحية لمصطلح "صوفية" يعد في رأيي سببا رئيسا في سوء فهم التصوف.

وكيف نساوي بين صوفية انتقصوا التوحيد فأصبح للأولياء في عقيدتهم فعل وتصريف مع الله! وصوفية أفاضوا في الحديث عن وحدة الشهود! وصوفية خلطوا بين القول بوحدة الشهود والقول بالاتحاد، والحلول، ووحدة الوجود؟!

ومن هنا فمن يبدأ حوارهم مع أصحاب الطرق منتقدا فلسفة التصوف متصورا أنها تمثل عقيدتهم، لا شك أنه لن يجد عقولا واعية لما يقول، أو أذانا صاغية.

وكذلك من يبدأ حوارهم مع أصحاب طريقة صوفية ملزما إياها ما علمه عن تعاليم طريقة أخرى، لن يقابل إلا بالاستهجان من محاوره. وكذلك الحوار انطلاقا من مبادئ طريقة، أو فلسفة صوفية مع من رأى أن التصوف ما هو إلا علم للسلوك وكفى؛ فهو حوار عبثي.

العنصر الثالث: خطأ: الخلط بين المعاني المجازية

عزيزي الدارس، إن من أشهر وأخطر أمثلة هذا النوع من الأخطاء الخلط بين معاني عبارة "ابن الله". فعبارة (ابن الله) يمكن أن يفهم منها مجرد الدلالة على محبة الله والقيام بحقوقه كما في قولنا: (أبناء الوطن - ابن الصحراء - ابن النيل - أبناء الواجب) وكل من الوطن والصحراء والنيل والواجب لا يعقل أن يكون لهم أبناء، ولا يمكن لعاقل أن يظن ذلك، وهذا المعنى المجازي يؤكد عليه يوحنا في إنجيله بقوله: "أولاد الله أي المؤمنون به"، كما يؤكد عليه عدم اختصاص المسيح عليه السلام بهذا اللقب في العهدين القديم والجديد: ففي العهد الجديد ورد على لسان المسيح عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"؛ ومن العجيب أن الصلاة الربانية عند النصاري والتي يكررونها كل يوم قائلين: "أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك". تؤكد على عدم اختصاص المسيح عليه السلام بهذا اللقب، وتؤكد في نفس الوقت على هذا المفهوم المجازي للبنوة؛ وفي العهد القديم ورد على لسان موسى عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل: "أنتم أولاد الرب إلهكم"، وفي العهد القديم كذلك ورد على لسان آساف مخاطبا قضاة بني إسرائيل: "وبنو العلي كلكم". . ولكن الخلط بين المعاني المجازية هو ما جعل النصاري يزعمون بنوة المسيح لله بمعنى مجازي آخر للبنوة وهذا المعنى المجازي يمثلون له ببنوة الثلج للماء، رغم أن حقيقة الثلج هي حقيقة الماء: (ذرتان هيدروجين وذرة أكسجين)، وإذا كنا لا نخطئ من يقول: "الثلج ابن الماء" ومن يقول: "الثلج هو الماء" ومن يقول: "الثلج ثالث ثلاثة: الماء والبخار، والثلج"، فذلك بحسب عقيدتهم لا يخطئ من يقول: "المسيح ابن الله"، ومن يقول: "المسيح هو الله"، ومن يقول: "المسيح ثالث ثلاثة".

ملخص الوحدة الثانية عشرة

عزيزي الدارس، إن الخلط اللغوي بجميع صورهِ تتعاظم فرصته عندما يتميز معنى بشهرة ليست لغيره.

وأمثلة الخلط بين المعاني اللغوية كثيرة، منها الخلط بين معاني كلمة "أخت"؛ وكلمة "ابن وابنة" وكلمة "ظن" وكلمة "دهن" و"الواو العاطفة"... الخ. ومما يساهم في الخلط بين المعاني اللغوية أن يكون للفظ الواحد معان عدة بالنظر إلى تصريفه، أو باعتبار تذكيره وتأنيثه، أو كونه اسم فاعل أو اسم مفعول... الخ.

وكذلك فإن أمثلة الخلط بين المعاني الاصطلاحية كثيرة، منها الخلط بين معاني مصطلح "الوهابية"، ومصطلح "المارونية"، ومصطلح "السنة"، ومصطلح "الصوفية".

ولعل من أشهر وأخطر أمثلة الخلط بين المعاني المجازية الخلط بين معاني عبارة "ابن الله".

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

المكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة الثانية عشرة،
فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة الثالثة عشرة، الذي ينعقد بإذن الله،
حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية الثالثة عشرة
من أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس الثالث
عشر من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدراسي، آملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نهارات الوحدة التعليمية

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في
هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

١. خطأ: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.
٢. خطأ: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي.
٣. خطأ: الخلط بين معاني الألفاظ في اللهجات المختلفة.

العنصر الأول: خلط: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

- عزيزي الدارس، إن عبارة "إخوان مسلمون" مثلاً يمكن أن يفهم منها الدلالة على حركة إسلامية معاصرة، ويمكن أن يفهم منها مجرد الدلالة على الإخوة الإسلامية؛ فإذا تخيلنا شخصين على علم بوجود هذه الحركة، وسأل أحدهما الآخر: هل أنت من الإخوان المسلمين؟ . . فأجاب: لا. . وسمعهما شخص ثالث لا علم له بهذه الحركة؛ لا شك أنه سيعتقد أن المسئول غير مسلم! وما ذلك إلا نتيجة الخلط بين ما هو لغوي وما هو اصطلاحى.

- وكذلك كلمة "الروح" فيقصد بها في اللغة معان منها "الروح الذي تكون به حياة الجسد"؛ وفي اصطلاح القرآن الكريم يقصد بها معان تختلف أحياناً عن المعاني اللغوية، والخلط بين ما هو لغوي وما هو اصطلاحى هو ما جعل كثيراً من العلماء يذهب إلى تحريم البحث العلمي في الروح الإنساني بناء على قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وهو خطأ ناشئ أيضاً عن الخلط بين المعاني المختلفة لكلمة: "أمر".

فالرأي الشائع أن المقصود بالروح في الآية الكريمة هو الروح الذي يكون به حياة الجسد، وأن المعنى بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي العلم بالروح من شأنه واختصاصه وحده تعالى؛ ومن ثمة فلا جدوى من البحث العلمي في الروح؛ بل إن ذلك البحث ليعد تكذيباً للقرآن وتطاولاً على الله تعالى من وجهة نظر أصحاب هذا التفسير.

وقد عارض هذا الرأي آخرون وقالوا إن الإسلام لا يحجر على الفكر ولا يمنع قط من البحث في أي مجال من مجالات العلم طالما كان هناك فائدة ولو محتملة من ورائه؛ وإن وضع الإسلام لذلك بعض الضوابط والآداب لكنها لا تحول بحال دون قيام أي بحث علمي.

وقد ذهب بعض هؤلاء إلى أن المقصود بالروح هنا هو القرآن الكريم واستدلوا على ذلك بالسياق الذي وردت هذه الآية فيه بدءًا من قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن

كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ كما استدلوا على ذلك بأن القرآن

الكريم سُمي روحًا في آيات قرآنية كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾؛ بل

سُمي الوحي بصفة عامة في القرآن روحًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزَّلُ

الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

وذهب آخرون إلى أن المقصود بالروح هنا جبريل عليه السلام فقد

سمى القرآن الكريم جبريل عليه السلام روحًا كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ

بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقوله عن مريم عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

وعلى ذلك يكون قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي تنزل القرآن، أو تنزل جبريل بالقرآن أو بغيره على الرسول ﷺ أو على غيره من أمره تعالى، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

وذهب آخرون إلى أن المقصود بالروح هنا ملك من الملائكة في السماء السابعة يقوم على يمين العرش صفًا واحدًا والملائكة صفًا وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾؛ وعلى ذلك فإن المقصود من قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي أمر التكوين: (كن)؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، والمعنى أن هذا الروح على عظمته مخلوق من العدم كبقية الخلق بالأمر الإلهي (كن).

وقيل إن المقصود بالروح هنا هو عيسى عليه السلام؛ فقد وصف القرآن الكريم عيسى عليه السلام بأنه روح؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ وعلى ذلك يكون المقصود من قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من أمره "كن" كما سبق بيانه، والمراد أنه مخلوق كسائر الخلق وليس الأمر كما يحسبه النصارى الذين ينكرون كونه عليه السلام من أمره تعالى "كن" ويدعون إلهيته.

أما إذا فهمنا الروح هنا بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ

بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي برحمة منه، فإن المعنى من قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي﴾ أن رحمته من شأنه وحده؛ فهو ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾،

و﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

ولا مانع أخيراً في رأيي من أن يكون المقصود بالروح هنا ذلك المعنى الشائع وهو الروح الذي تقوم به حياة الجسد، والمقصود من قوله:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من أمره (كن)؛ فهو مخلوق بأمر

التكوين؛ أما القول بأن المقصود من (أمر ربي) أن العلم بالروح - الذي تقوم به حياة الجسد - من شأنه واختصاصه تعالى وحده دون أحد من خلقه؛ فليس هناك ما يقطع بذلك.

- وكذلك كلمة (إله) فلها معنى لغوي مشهور وهو (معبود)، ومعنى اصطلاحى ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وهو (عابد) وشتان ما بين المعنيين؛ ففي العهد القديم ورد على لسان آساف مخاطباً قضاة بني إسرائيل: "أنا قلت إنكم آلهة"، وورد على لسان إشعياء عليه السلام في وصف النبي المنتظر: بأنه: "إله قدير". وفي العهد الجديد حينما اتهم اليهود المسيح عليه السلام بالتجديف على الله قائلين: "فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً. أجابهم يسوع [عيسى عليه السلام] أليس مكتوباً في كتابكم (أنا قلت إنكم آلهة)" [يشير إلى قول آساف السابق الذكر]؛ بل إنا نجد في العربية صيغة "تأله" مستخدمة من كثير من علمائنا في وصف بعضهم البعض، ولكن بمعنى تعبد. . والخلط بين

المعنيين: اللغوي والاصطلاحي هو ما جعل النصارى يؤلهون المسيح عليه السلام.

وكذلك فإن كلمة: "أخت" في قوله تعالى لمريم عليها السلام: "يَا أُخْتُ هَارُونُ"؛ لها معنى لغوي شهير ومعنى اصطلاحى في التوراة، وإغفال ما هو اصطلاحى ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في هذه الآية خطأ تاريخياً؛ كما سبق بيانه؛ ويزول الإشكال باعتبار المعنى الاصطلاحى؛ ففي اصطلاح التوراة يُسمى أبناء وأحفاد العم أخوة للأب؛ وقد قيل إنها كانت من ذرية موسى عليه السلام، وهو أخو هارون ف قيل لها: "يَا أُخْتُ هَارُونُ". وبرهان ذلك ما ورد في الأصحاح العشرين من سفر العدد: "وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت المشقة التي أصابتنا....."؛ فالمقصود بـ "إسرائيل هنا كل الشعب الإسرائيلى الذى كان يقوده موسى، وهؤلاء كانوا أحفاد إسرائيل، وكذلك كان ملك أدوم وشعبه أحفاد عيسو أخى إسرائيل.

العنصر الثاني: خطأ الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي

- عزيزي الدارس، إن من أمثلة هذا الخلط اللغوي كلمة: Crusade والتي استخدمها الرئيس الأمريكي جورج بوش في بداية عهده في وصف حربه على ما أسماه بالإرهاب فلهذه الكلمة معنى لغوي في الإنجليزية هو: قام بحملة صليبية، ومعنى مجازي هو: قام بحرب عنيفة، وعدم إدراك هذين المعنيين أثار كثيراً من الخلاف والجدال حول نواياه.

- وكذلك فإن كلمة: "أخت" في قوله تعالى لمريم عليها السلام: "يَا أُخْتَ هَارُونَ" لها معنى لغوي شهير ومعان مجازية، وإغفال ما هو مجازي ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في هذه الآية خطأ تاريخياً، سبق بيانه . . ومن هذه المعاني المجازية: ما نجده في كثير من الثقافات حيث يُكنى من يتسمى باسم بكنية أشهر من تسمى به؛ وعليه فكل من تسمت بمريم تكنى بأخت هارون وابنة عمران، لأنّ مريم الأقدم والأشهر هي أخت هارون النبي عليه السلام وابنة عمران؛ وهذا أمر معروف ومشهود؛ ومثاله عند العرب المسلمين أنهم يكونون كل من تسمى بـ "حسن" بـ "أبي علي"، نسبة للحسن بن علي رضي الله عنهما، وإن كان علي هو أبو الحسن رضي الله عنهما لا ابنه، وإنما كان العكس في الاستخدام لأن الأبوة هنا بمعنى النسب والانتماء لا بمعناها الحقيقي.

- وكلمة (إبل) لها معنى لغوي شهير ومعنى مجازي؛ والجهل بالمجازي جعل بعضاً من غير المسلمين يزعم أن القرآن الكريم إنما هو من تأليف نبينا صلی الله عليه وسلم.

فقالوا: إن دعوة القرآن إلى تأمل عظمة خلق الإبل في معرض حديثه عن وصف الجنة وعن الدعوة إلى تأمل عظمة خلق الكون من: سموات مرفوعة، وجبال منصوبة، وأرض مسطوحة، في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ * أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾. . إنما هو برهان على التششت

الفكري وعدم الترابط بين معاني آيات القرآن وتساءلوا عن علاقة السياق السابق واللاحق للفظـة "الإبل" بها.

ثم قالوا: إنما اختار محمد صلی الله عليه وسلم "الإبل" على وجه الخصوص لأنها من مفردات البيئة الصحراوية التي عاش فيها؛ وخرجوا من ذلك بأن القرآن إنما جاء مصوراً للبيئة العربية القديمة، محصوراً بمعطياتها، ولا يمكنه أن يتعامل مع غيرها من بيئات لم يطلع عليها نبي الإسلام صلی الله عليه وسلم؛ وهو ما لا يمكن قبوله في كتاب سماوي يعلن ختمه كتب السماء وعموم خطابه لأهل كل زمان ومكان.

وخطأ هؤلاء ناشئ عن جهل بالمعنى المجازي لكلمة "إبل" من جهة، وعدم الفهم الصحيح للسياق القرآني من جهة أخرى:

فكلمة "إبل" في اللغة: جمع مؤنث لا واحد له من لفظه، مفردة: "جمل أو بعير"؛ وقد جاء هذا المعنى في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

وكلمة "إبل" في المجاز تعني: "السحاب". والمقصود بهذه الكلمة في هذا السياق - في رأيي - المعنيان معا: فإذا نظرنا للسياق السابق يترجح معنى، وإذا نظرنا للسياق اللاحق يترجح الآخر وبطريقة تجعل الكلام ينتقل من دائرة رد الشبهات (التشتمت الفكري، والتفوق داخل الصحراء) إلى الحديث عن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم:

فبالنظر إلى السياق السابق على لفظة "الإبل" يترجح - في رأيي - أن المقصود بالإبل هنا "الجمل أو البعير"؛ وإنما اختير الجمل هنا على وجه الخصوص تفسيراً لقوله تعالى: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾؛ فكان الدعوة إلى تأمل خلق "الإبل" إجابة على تساؤل: كيف نعتلي هذه السرر؟ . . . والإجابة هي: كما نعتلي "الإبل"؛ فهي تبرك حتى يتمكن راكبها من ركوبها ثم نعتلي به؛ فهي تقوم مقام المصعد، والمصعد هو الوسيلة الأسهل والأعز لمن أراد أن يرتقي مرتفعاً، مقارنة بالقفز، والتسلق، وصعود الدرج.

إضافة إلى ذلك فإن اختيار "الجمل" موضوعاً للتأمل هنا دون غيره من حيوان؛ فلأنه: يُؤكل لحمه، ويُشرب لبنه، ويبرك ويُركب، ويُحمل عليه الأحمال الثقيلة، ويُسافر عليه المسافات البعيدة؛ وهي خصائص لعلها لا تجتمع لحيوان آخر.

وبالنظر إلى السياق اللاحق على لفظة "الإبل" يترجح أن المقصود بالإبل معناها المجازي وهو: "السحاب"؛ وذلك أن الآيات في هذا السياق يترجح - في رأيي - فهمها على أنها تحثنا على النظر فوقنا؛ لنرى عظمة الخلق في السحاب، ثم فيما فوقه من سماء، ثم النظر حولنا؛ لنرى عظمة الخلق في الجبال، ثم النظر أسفل منا؛ لنرى عظمة الخلق في الأرض؛ وهكذا لا يكون الخطاب هنا مقصوراً على الأمم التي عرفت الإبل واعتمدت عليها في معيشتها؛ بل يكون لكل الأمم؛ فالسحاب تقر بعظمة خلقه كل الأمم.

العنصر الثالث: خطأ: الخلط بين معاني الألفاظ في اللهجات المختلفة

ومن أمثلة هذا الخلط عزيزي الدارس، الخلط بين معاني كلمة "دفع" فكلمة "دفع" تعني في لهجات عامة العرب "السخونة، أو نقيض حدة البرد"؛ بينما هي في لهجة أهل اليمن فتعني القتل؛ وفي الحديث أن النبي ﷺ "أتي بأسير يُرْعَد، فقال لقوم: اذهبوا به فأذفوه؛ فذهبوا به فقتلوه فَوَدَاه رسولُ الله ﷺ". أراد الإدفاء من الدفع، وأن يُدْفَأ بثوب، فحسبوه بمعنى القتل. ومن هنا كان كذلك الخطأ في قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة كما تحكي كتب التاريخ.

- ومن أمثلة هذا الخلط عزيزي الدارس، الخلط بين معاني كلمة "وثب" فكلمة "وثب" تعني: القفز عند عامة العرب، والقعود عند بعضهم؛ يقول ابن منظور: الوثب: القُعود، بلغة حمير. يقال: ثبَّ أي اقعد. ودَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: ثَبَّ أَيِ اقْعُدْ، فَوَثَبَ فَتَكَسَّرَ؛ فقال الملك: ليس عندنا عَرَبِيَّةٌ كَعَرَبِيَّتِكُمْ؛ مَنْ دَخَلَ ظِفَارَ حَمَرٍ أَيِ تَكَلَّمَ بِالْحَمِيرِيَّةِ.

- وكذلك فإن كلمة "قرأ" لها عدة معانٍ في اللهجات العربية قال القرطبي: "قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمي الحيض قرءاً، ومنهم من يسمي الطهر قرءاً، ومنهم من يجمعهما جميعاً، فيسمي الطهر مع الحيض قرءاً" وهذا الاختلاف هو ما جعل المفسرين ومن ثمة الفقهاء يختلفون في المراد من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ

قُرُوءٍ ۝

ملخص الوحدة الثالثة عشرة

عزيزي الدارس، كثيرا ما يحدث خلط بين معاني الألفاظ المستخدمة في الحوار مما يعيق التفاهم بين أطراف الحوار؛ ومن هنا يجب على كل أطراف الحوار الاستيثاق من فهم الآخر لما تقول ومن فهمها لما يقول. ومن أمثلة العبارات والكلمات التي يقع فيها خلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي: عبارة "إخوان مسلمون"، و كلمة "الروح"، وكلمة "إله" وكلمة: "أخت".

ومن أمثلة الخلط بين المعاني اللغوية والمعاني المجازية: كلمة: Crusade وكلمة: "أخت"، وكلمة "إبل".

ومن أمثلة الخلط بين معاني الألفاظ في اللهجات المختلفة: كلمة "دفع"، وكلمة "وثب"، وكلمة "قرء".

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

الكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا أخى الدارس، إلى ختام الوحدة الثالثة عشرة،
فإلى لقاءٍ يتجدّد مع الوحدة الرابعة عشرة، الذي ينعقد بإذن الله،
حول ما تبقى من "أخطاء الحوار" مع خالص الأمنيات!

الوحدة التعليمية الرابعة عشرة
أخطاء الحوار

مبجل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد
أخي الطالب، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، ومرحباً بك في الدرس الرابع
عشر من سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مقرر "أصول الحوار وآدابه"، لهذا
الفصل الدراسي، آملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة فأهلاً وسهلاً بك.

نصائح للتعليمة

عزيزي الدارس في نهاية هذا الدرس، يُتاح لك -بإذن الله - أن:

١. يتعمق إدراكك لمفهوم أخطاء الحوار.
٢. تقف على بعض من أسباب أخطاء الحوار.
٣. يتعمق إدراكك لخطورة أخطاء الحوار.
٤. تحذر من عدوى أخطاء الحوار.
٥. تقف على بعض من أهم أخطاء الحوار.
٦. تقف على كيفية التصرف مع من يستخدم أخطاء الحوار المذكورة في
هذا الدرس.
٧. تتأهل للقيام بدور المرشد لثقافة الحوار، والداعي إليها.

العناصر

٤. خطأ: الخلط بين النقد والسب والمزح والوصف.

العنصر الأول: خطأ الخلط بين النقد والسب والمزج والوصف

عزيزي الدارس، يخلط كثيرون عن عمد أحيانا وعن جهل أخرى بين النقد والسب والمزج والوصف؛ ولا يفرق بين الهادف منهم وغير الهادف.

وسبب هذا الخلط يرجع إلى أمور عديدة منها:

١. اختلاف الثقافات.
٢. غياب بعض من آداب الحوار مثل: حسن الاستماع، وضوح الصوت، اعتدال المزاج، الرفق واللين، إنزال الناس منازلهم، الإقبال على المتحاور معه والهشاشة له والانبساط إليه.
٣. أن الإنسان لا يحب النقد والنصح بطبعه ومن ثمة اعتبر كثير من الناس كل نقد سبا؛ يقول تعالى: "وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"، ومن ثمة قرن القرآن الكريم بين التواصي بالحق - الحوار النقدي، أو التناصحي- والتواصي بالصبر؛ يقول تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ويقول: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، وكأن كل تواص بالحق - أي كل نقد أو نصح- لابد يعقبه من الضرر والإيذاء بفاعله ما يستلزم التواصي بالصبر.

ولتجنب هذا الخلط ينبغي التوقف أمام كل من النقد والسب والمزح والوصف للوقوف على حقيقته:

أولا النقد:

وهو التقييم وذكر النقائص والمذام الحقيقية من وجهة نظر الناقد؛ بهدف النصح.

وللنقد قسمان: قسم يتوجه إلى الآراء والمعتقدات والممارسات، وقسم يتوجه إلى أصحابها.

وكلا القسمين مقبول، بل ومطلوب، ما لم يترتب على إبداء النقد في وقت معين ضرر أكبر يقدره أهل الرأي في كل مكان وزمان. و الأصل في نقد أصحاب الآراء والمعتقدات والممارسات أن يكون بالإشارة دون تحديد لاسم المنتقد؛ ويرسم لنا الإسلام قدوة في ذلك في مواطن عدة منها:

- قوله ﷺ: "ما بال رجال...."، و"ما بال أقوام....."، و"ما بال أناس.....".

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا

آيَةٌ؟﴾.

- وصف القرآن للذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها بالحمار الذي يحمل كتبا، يقول تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا". (والقرآن هنا لم يسمَّ اليهود ولم يسبهم وإنما رسم صورة تمثيلية توضيحية نقدية لمن حُمِّل

التوراة ثم لم يحملها، وكل يهودي يزعم أنه ليس كذلك، وإن دلت النصوص الإسلامية على أن كل يهودي باق على دينه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم يعد غير متبع للتوراة، لكن القرآن لا يصرح بذلك في نفس الآية الكريمة، وإنما في مواضع أخرى).

- وصف القرآن للذي أتاه الله آياته فانسلخ منها بالكلب: "إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ". (وهي صورة تمثيلية توضيحية نقدية لفاعل ولم يسم القرآن شخصا).

- تشبيه القرآن للغافلين بالأنعام؛ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَظْمٍ

كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. (وهي صورة تمثيلية نقدية لفاعل،

وكل إنسان يزعم أنه ليس كذلك، وإن دلت النصوص الإسلامية على أن كل من بقي على دينه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم يعد متصفا بهذا الوصف، لكن القرآن لا يصرح بذلك في موضع النقد، وإنما في مواضع أخرى).

- تشبيه القرآن لأكثر المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم والذين اتخذوا إلههم هواهم بالأنعام في أنهم لا يسمعون ولا يعقلون؛ يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ

رَسُولًا * إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ

إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾. (وهنا
يرسم القرآن صورة تمثيلية نقدية لفاعل، وكل إنسان يزعم أنها
لا تنطبق عليه).

فإن كان التصريح باسم المنتقد لمصلحة راجحة وجب؛ كقوله
صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية". فهذا نقد لذات بعينها بغرض
التعليم، وإن كان منظوياً على سبب يهدف للقصاص كما سيأتي بيانه.
ومبدأ التصريح باسم المنتقد للمصلحة الراجحة مبدأ اعتمده علماء
الحديث في كتبهم في الجرح والتعديل؛ وكذا اعتمده المؤرخون؛ فلا بد
لهم من تحري الضبط والعدالة في الرواة؛ وكذا اعتمده القضاة في قبول
الشهادة وردھا؛ بل لا بد وأن يعتمد كل إنسان في حياته طالما كانت
هناك مصالح راجحة في ذلك، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا
عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

ثانياً: السب:

وهو ذكر النقائص والمذام الحقيقية أو المدعاة؛ بهدف الإهانة.
وللسب أحكام مختلفة بناء على أغراضه، فمنه:
١. سب العدوان: وهو سب الظالمين للمظلومين، وهو منهي عنه
في كل دين صحيح ولدى أصحاب كل خلق كريم: يقول الكتاب
المقدس: "لا تأت شيئاً من أمور الشتم"؛ ويقول صلى الله عليه وسلم: "ليس

المؤمن بالطَّعَان، ولا باللَّعَان، ولا بالفاحش، ولا البذيء؛" ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٢. سب القصاص والزجر: والترفع عنه للقوي فضيلة؛ قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. أما إن خيف التماذي وتأصل الفساد فلا بد من الزجر؛ قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. ومن ذلك وصف المسيح - بحسب ما ترويه الأناجيل - لليهود مرة بالعميان، ومرة بالحيات أولاد الأفاعي. والتَّعْزِير بالتوبيخ مشروع باتفاق الفقهاء، ومن شواهد ذلك في السنة النبوية ما يلي:

- رَوَى أَبُو دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "يَا أَبَا دَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ أَمْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ".
- وقال ﷺ: "من تعزَّى بعزاء الجاهلية فأعضوه [بهن أبيه] ولا تكنوا". أي من تعصب لأهل بلدته، أو قرابته، وأراد بهذا التعصب أن يفرِّق جماعة الإسلام ويتكبر على الآخرين؛ فأعضوه بهن أبيه، أي:

اشتموه وقولوا له: اعضض بهن أبيك، أي "بذكره"، وصرحوا بلفظ "الذكر" ولا تكنوا عنه بالهن؛ وفي ذلك تذكير له بأمر نفسه، وحقيقة أنه نطفة خرجت من عضو أبيه، ففي هذا التذكير تحقير له وزجر؛ ومن هنا يكون العقاب من جنس العمل.

- ويروى أن عروة بن مسعود الثقفي وهو من سادات ثقيف وحلفاء قريش لما قال في حوار مع النبي ﷺ عن الصحابة رضي الله عنهم: إنهم (أشواب أو أوباش) أي: أخلاط يفرون عنك ويدعوك، قال له **الصدّيق** رضي الله عنه: "امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه!". وكان ذلك بحضور النبي ﷺ ولم يعترض عليه ﷺ على قول الصدّيق فكان سنة تقريرية.

فإذا خيف ترتب ضرر أعظم على سبب القصاص والزجر لم يجز؛ وإلى هذا المبدأ يشير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. فينبغي أن نفرق بين حرية الرأي الهادفة إلى توصيل معنى أو رسالة للآخر، أي الحرية الموظفة، والحرية غير المسؤولة والتي لا تفيد، وإنما تضر.

ثالثاً: المزاح:

والمزاح المشتبه فيه مع ما سبق: هو ذكر النقائص والمذام الحقيقية أو المدعاة؛ بهدف الملاطفة والمضاحكة. وهو مقبول ما تقبله الطرف الآخر، ومجتمعه، وديننا المازح والممزوح معه.

رابعاً: الوصف:

قد يكون الوصف حقيقياً وقد يكون مجازياً وقد يقصد نقداً أو سباً أو مزحاً أو نقداً منطوقاً على سبب للزجر ومثال هذه الحالة الأخيرة: وصف المسيح عليه السلام - بحسب ما ترويه الأناجيل - لليهود بالجهال. ووصف النبي ﷺ عمرو بن هشام الملقب بأبي الحكم بأبي جهل.

وقد يكون الوصف مجرداً من تلك المقاصد، وإنما يهدف إلى وصف الواقع عارياً عن ألبسة التجميل الاجتماعي ليس إلا، كوصف السرقة بمسماها (سرقة) ومن يسرق بأنه لص، والرشوة بمسماها (رشوة) لا إكرامية ولا هدية) ومن يقبل الرشوة بالمرتشي، والكذب بمسماه (كذب) لا تجميل) ومن يكذب بأنه كاذب،.... الخ. وهنا تكمن الإشكالية الحقيقية للوصف؛ فكثيراً ما يتوهم الإنسان سباً في كلام الآخر، فإذا أعاد النظر فيه، وساءل أهل العلم، تبينت له الحقائق.

ومن أمثلة الوصف المجرد المشتبه بالسب:

- ١ - قول الهدهد لسليمان عليه السلام: "أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ".
- ٢ - ما رواه البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: "لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) قالوا: لا نقر لك بهذا! لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً! ولكن أنت محمد بن عبد الله؛ فقال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: امح (رسول الله) قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً؛ فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب (هذا ما قاضى عليه

محمد بن عبد الله)....الخ". . ومحل الشاهد هنا وصف الرسول ﷺ بأنه "ليس يُحسن يكتب".

٣- الوصف بالكفر، فكثيرا ما يطرح أهل الأديان بعضهم على بعض هذا التساؤل: (هل تعتقد بأنني كافر؟) عن عمد إثارة الحرج أحيانا وعن جهل أخرى؛ وهو سؤال يمكن عكسه ليقع السائل في نفس الحرج: (وهل تعتقد أنت بأنني كافر؟).

فالإجابة بـ (نعم) تعتبر في مجتمعاتنا سبا وإهانة، وتوقع صاحبها تحت طائلة الاتهام بالإرهاب، والعمل على تمزيق الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد. والإجابة بـ (لا) تخالف العقيدة: سواء لدى المسلم، أو النصراني، أو اليهوديالخ. وتوقع صاحبها كذلك تحت طائلة الاتهام بالجهل والنفاق وخلق ربة الدين.

والإجابة الحق هي: بـ (لا، ونعم)!!! بحسب المعنى الذي نختاره لكلمة (كافر)؛ فلهذه الكلمة عدة معان لغوية تدور حول (الستر والتغطية). فنحن جميعا كفار بمعنى، وغير كفار بمعنى؛ وليس في الوصف بهذه الكلمة ما يسوء؛ وليس في الإجابة على السؤال المذكور ما يثير حرجا؛ أو هرجا.

فنحن جميعنا: مسلمين، ونصارى....الخ. كفار بمعنى أنا نكفر بعقيدة الآخر، ولا نؤمن بها، وكفار بمعنى أنا نكفر بمن يخالفنا في المعتقد أي نتبرأ منه يوم القيامة، وهو أمر طبعي لا ينكره حر على حر؛ وكفار بمعنى أننا نكفر بما يقدمه الآخر باعتباره حجة على ما يعتقد، وجميعنا كفار لذنوبنا ما رجونا التوبة والمغفرة، وفيما كفار يكفرون الحب في الأرض يزرعونه. . ونصبوا جميعا مسلمين ونصارى ويهودا ألا نكون كفارا بنعمة الله يجحدونها ولا يشكرونها.

فإن استشعر إنسان ما في بيئة ما حساسية تجاه مصطلح أو وصف مجرد - حتى وإن كان مخطئاً في حساسيته - كان علينا مراعاة ذلك.

ولنا في عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسوة حسنة في ذلك عندما رفض نصارى تغلب مصطلح (الجزية) والذي استخدمه القرآن الكريم وقالوا لعمر: "خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض باسم الصدقة"، ورغم أن مصطلح الجزية لا ينطوي على إساءة أو تحقير وافقهم عمر على ما طلبوا، وقال: "سموها ما شئتم".

وذلك أن المولى عز وجل لم يأمرنا بالإساءة إلى أحد، بل أمرنا بأن نقول للناس حسناً؛ قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. وأمرنا بتأليف قلوب

الكافرين بالإحسان إليهم، بل لعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي شرع بذل المال لتأليف قلوب المخالفين في المعتقد؛ فما بالنا بما هو دون المال الذي يحبه الإنسان "حبا جما" أقصد الكلمة الطيبة!.

ملخص الوحدة التعليمية

عزيزي الدارس، يخلط كثيرون عن عمد أحياناً وعن جهل أخرى بين النقد والسب والمزح والوصف؛ ولا يفرق بين الهادف منهم وغير الهادف؛ وسبب كل هذا الخلط يرجع إلى أمور عديدة منها: اختلاف الثقافات، وغياب بعض من آداب الحوار، وأن الإنسان لا يحب النقد والنصح بطبعه.

والفرق بين النقد والسب والمزح والوصف يتمثل فيما يلي:

أولا النقد:

وهو التقييم وذكر النقائص والمذام الحقيقية من وجهة نظر الناقد؛ بهدف النصح.

وللنقد قسمان، قسم يتوجه إلى الآراء والمعتقدات والممارسات، وقسم يتوجه إلى أصحابها. وكلا القسمين مقبول، بل ومطلوب ما لم يترتب على إبداء النقد في وقت معين ضرر أكبر يقدره أهل الرأي في كل مكان وزمان.

والأصل في "نقد أصحاب الآراء والمعتقدات والممارسات" أن يكون بالإشارة دون تحديد لاسم المنتقد؛ فإن كان التصريح باسم المنتقد لمصلحة راجحة وجب.

ثانياً: السب:

وهو ذكر النقائص والمذام الحقيقية أو المدعاة؛ بهدف الإهانة؛ وقد يكون ذلك ظلماً وعدواناً، وقد يكون زجراً وقصاصاً.

وللسب أحكام مختلفة بناء على أغراضه، فمنه:

١. **سب العدوان:** وهو سب الظالمين للمظلومين، وهو منهي عنه في كل دين صحيح ولدى أصحاب كل خلق كريم.
٢. **سب القصاص والزجر:** والترفع عنه للقوي فضيلة، أما إن خيف التماذي وتأصل الفساد فلا بد من الزجر. فإذا خيف ترتب ضرر أعظم على سب القصاص والزجر لم يجز؛ فينبغي أن نفرق بين حرية الرأي الهادفة إلى توصيل معنى أو رسالة للآخر، أي الحرية الموظفة، والحرية غير المسؤولة والتي لا تفيد، وإنما تضر.

ثالثاً: المزاح:

والمزاح المشتبه فيه مع ما سبق: هو ذكر النقائص والمذام الحقيقية أو المدعاة؛ بهدف الملاطفة والمضاحكة. وهو مقبول ما تقبله الطرف الآخر، ومجتمعه، وديننا المازح والممزوح معه.

رابعاً: الوصف:

قد يكون الوصف حقيقياً وقد يكون مجازياً وقد يقصد نقداً أو سباً أو مزحاً أو نقداً منطو على سب للزجر؛ وقد يكون الوصف مجرداً من تلك المقاصد، وإنما يهدف إلى وصف الواقع عارياً عن ألبسة التجميل الاجتماعي ليس إلا، وهنا تكمن الإشكالية الحقيقية للوصف، فكثيراً ما يتوهم الإنسان سباً في كلام الآخر، فإذا أعاد النظر فيه، وساءل أهل العلم، تبين له الحقائق. فإن استشعر إنسان ما في بيئة ما حساسية تجاه مصطلح أو وصف مجرد - حتى وإن كان مخطئاً في حساسيته - كان علينا مراعاة ذلك.

المراجع الأساسية في تدريس المقرر

- أبوفرحة، د. جمال الحسيني (١٤٣٤) "الحوار مع الآخر: مفهومه وأصوله وأهم آدابه وأخطائه"، ط٢ المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.

المكتب والمراجع الموصلة بها

- القوسي، د. مفرح سليمان (١٤٣٠هـ) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣١هـ) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- العلواني، رقية طه، (١٤٢٦هـ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ط١، المملكة العربية السعودية، جائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ابن أبي الدنيا (٢٠١٠م) كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

- الحنبلي، ابن رجب (د.ت) الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة، المكتبة القيمة.
- الرفاعي، حامد أحمد (٢٠٠٦م). نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ط١، جدة: مؤتمر العالم الإسلامي، المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣.
- قاسم، عبد العزيز (٢٠٠٨م) الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

خاتمة

بهذا نكون قد وصلنا عزيزي الدارس، إلى ختام الوحدة الرابعة عشرة، وختام دروسنا في مقرر "أصول الحوار وآدابه" مع خالص الأمنيات!



جَامِعَةُ طَبْرِيزَ
عِمَارَةُ التَّعْلِيمِ عَنْ بَعْدِ